

الثقافة في عهد التغيير أقباس الدرب المضيء

الإنسان هو كائن ثقافي ، والثقافة في التاريخ كانت هي التجلي المعبر عن أنسنة هذا الكائن البشري ، وهي في مساره الذاكرة والجذور والانتما ، وأكتشاف الأسلاف ، وفي آخر المطاف هي صراط الفرز والتمايز والرأسمال الرمزي للهوية الحضارية لكل إثنية أو عرق أو شعب أو قومية . وحين تزدوي أو تمضي أو تتبدد رسوم كل شيء ، تبقى معالم الثقافة تحت الشمس ، وكان الوعي بمركزية الثقافة وحرارة قبسها الجوهري المنور المسالك للشعوب حاضرا بصور فذ وأختصار استراتيجي لدى قيادة التغيير في تونس .

إن الثقافة في عهد التحول التاريخي لم تعد شأنا قطاعيا أو مشغلا ظرفيا أو نخبوا .. إنها في منظومة العهد الجديد نبض الإقلاع وخلفية الخطاب ومرجعية المدينة والمدنية والتنمية الوطنية ، ومخزون الكيان وبنية الممانعة والخصوصية في ظل عولمة الأنساق والإنكشاف الجائع.

إن تونس وهي تحتفل بالذكرى الثانية عشر للتحول .. قد شيدت صرحا متينا لدولة الثقافة ومجتمع الثقافة فالكل في الوطن يستنبت ويوسع جغرافية مصطلحها في رحاب ألق يحشد كل المبدعين من هنا .. ومن روافدنا المغاربية والعربية .. ويستقطب الآخر الوافد ويستغرق كل التنوع النوعي على ضفة المتوسط في كل ما تبرز به شمس من فنون وإضاءات جمالية ..

إنّ وطننا صار بيئة الثقافة الكونيّة وعهد قرطاج للتسامح هو مهد اللقاء.. في مدوّنته إنزياحات النور في كلّ رواق وكلّ ألتاف حيث أخصّبت كلّ واحة إبداع في الفكر والأدب والسّينما والمسرح والفنّ التشكيلي والطّرب والإعلام بكلّ مراه.. وفي هذه الحقول يكرّم المبدعون في يوم ، وأيّام وفي كلّ الفصول يحشد رواد الوطن ورموزه الفاعلة في الظلّ تسيّج الوطن بالجماليّة ؛ ضوتا ولوحة ولحنا وكلمة ومتنا ومديّات صورة وأتصال .. هؤلاء المتوهّجين بنار الخلق والإنشاء وصارت الثقافة في

أستراتيجيا الدّرب المضى ، حقل الإستثمار التّنموي . وفيه فليتنافس المتنافسون .. على أرضيّة التّأهيل للجديّة الإبداعية مع الآخر من أجل التّواصل أبعد من ضفاف البحر وتسويق منتوجنا الجماليّ الجيّد هناك.. ليرتاد فضاءات الآخرين وبه نستقوي حضاريّا ونحتلّ مكانا على المورد المحتشد عنده صنّاع الحضارة الكونيّة..

.. اليوم برحلون إلينا يتفياؤن في رحاب معمارنا الشّامخ ومعالم إرثنا النّاصع في القبروان وحضرموت ومسارح قرطاج والجيم ، وقصور الصّحرا ، وأروقة مساجدنا العريقة .. وبوآيات مدنة العتيقة ؛ خلال سحرة الأصالة والإنتماء ، وتجذّر الكيان التّونسي في العروبة والإسلام وجماع التاريخ البشري ..

وهذا الإرث الثقافيّ ينور اليوم ويحرّر في دورة إعادة الحضور والنور والإعتبار من قيادة التّغيير بجهد يوميّ للتّعهد والتّرميم والصّيانة والإحياء ، والتّفعيل للرّاهن والذاكرة وحفز الهمم وأستنهاز الطّاقات للبناء الإبداعيّ في اتّجاه دُرى الإمتياز.. هو الرّهان ..

وكما يحرّر الإنسان اليوم ثقافيّا في تونس .. يحرّر التّراث في متونه .. ويصبح الكتاب من جهود أفذاذ تونس وروادها المصلحين هو مرجعيّة الأصالة والإصلاح والتّغيير والحداثة.. ويعاد إنتاجه وتنميته .. من خير الدّين وأحمد بن أبي الضّيّاف .. وأبو القاسم الشّابي والطّاهر الحدّاد .. وصولا إلى الرّواد الأحياء اليوم .. الّذين يضيّفون بامتياز لجهد التّغيير في كلّ حقول الإبداع الثقافيّ ..

خرج المبدعون اليوم بدعم وإسناد وإرادة رمز التغيير من أبراجهم إلى فضاءات
النور في رحاب الإعلام .. ليخصبوا المشهد المعبر عن ذاتنا وأصالة إبداعنا وثراء
مرجعياتنا وألق حضورنا وريادة إنساننا وجمالية أنساقنا ..

إنها ينابيع عهد التغيير

جاء في خطاب سيادة الرئيس زين العابدين بن علي في اليوم الوطني للثقافة /
14 جانفي 1997 : « ... وستظل بلادنا مهذا للتنوير والتحديث والإبتكار ومنبتا
للعلماء وأهل الفكر والثقافة بموقعها المتميز في الثقافة العربية الإسلامية ومكانتها
المرموقة في فضاء الإبداع المتوسطي وإسهاماتها على الساحة الإفريقية وبتفتحها
على مجتمعات الغرب والشرق من أوربا إلى أمريكا وآسيا » .

التحرير



سؤال التّراث .. سؤال الحداثة في فكر الحدّاد ..التنويري ..

بقلم : توفيق الرّابحي

الإنسان العربيّ في العصر الرّاهن يعاني مشكلة الحداثة ، يعانيها معاناة كيانيّة نابعة من أزمتها الحضاريّة الرّاهنة. وينظر إلى ذاته في مرآة الآخر ، إذ يرى نفسه في موضع التبعيّة والتخلّف . ولعلّ هذا ما دفع بالمصلح "الطاهر الحدّاد " إلى معالجة قضايا المجتمع التّونسي في ضوء التّراث والحداثة باعتماد منهجيّة عقلانيّة في كلّ شؤون مجتمعا .

فالمطلوب إذن من وجهة نظر الحدّاد هو الوعي بشروط النّهضة وذلك على ضوء المعطيات الإقتصاديّة والإجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة . فلا بدّ من الدّعوة إلى أعمال العقلانيّة والإجتهاد في الجوانب المضيئة في تراثنا : "إليه أبهى التّونسيّون ما أكبر فضيحتنا بين أمم العالم التي تسعى للحياة والعزّة من طريقها الموصل ! فنحن مازلنا حتّى السّاعة معجبين بما ترك لنا تاريخنا الأسود نحن عقائد وميول ننسبها للإسلام زورا لتتقي بذلك صدمة الحق الغلاب : ص 218 .

فالدّعوة إلى الإستفادة من التّراث تعني التّأصّل في هذا النّشط العقلائي . وهذا التّيار العقلائي يسمح للمجتمع بأن يكون متطورا وأن يوائم بين التّغيير والحفاظ على الثّوابت والأصول . والمسألة في نظر الحدّاد حركة فعل وأنفعال ، إذ أنّها علاقة جدليّة بين تطوّر المجتمع التّونسي وإبدالاته : " فكيف بنا إذا وقفنا بالإسلام الخالد أمام الأجيال والقرون المتعاقبة بعد بلا أنقطاع ونحن لا نتبدّل ولا نتغيّر؟ ص22. إنّ الإنسان المنشود ينبغي أن يكون فاعلا ومنفعلا مع حركة المجتمع ، فإصلاح المرأة /الأم هو سبيل للنّهضة والتحرّر . فالشّربية والتّعليم والشّغل تمثّل سبيل إمكانيات الخروج من أسر التّقاليد وصنع ملامح مستقبل المجتمع التّونسي . : "إنّما

الإسلام دين الواقع ويتطوّر ويتطوّر ذلك سرّ خلوده وليس في نصوص القرآن ما يمنع المرأة من تولّي أيّ عمل في الدولة أو المجتمع مهما كان هذا العمل عظيمًا ص 27 .
فالحداك يتكلّم بحريّة ويلهج بدفين قرون ويكشف بمقتضى العمل السّياسي في بعده الوطني الاجتماعي عن معرفة آنية لا تقطع مع ماضيها بل تتمسك بالركن في زمن الإستعداد لحوض مراحل حاسمة في النضال الوطني . إنّ الدّعوة إلى تحرير المرأة هو من صميم العمل الكفاحي وجوهره الذي يهدف إلى إنشاء المجتمع الجديد .
وبذلك يخترق الحداك مجال المصنوع / المحظور " ويحوّل النقّاش حول المرأة إلى حوار داخل وجودها الذي هو في الماهية وجود الأنس (1) لأنّه آمن أنقضية المرأة اجتماعا وحضارة لا يمكن أن تشار خارج مشغل فكري إجرائي في الان ذاته هو التشريع الإسلامي ونظرة السلف إليها : " إنّ الإسلام لم يعطنا حكما جازما عن جوهر المرأة في ذاتها ذلك الحكم الذي لا يمكن أن يتناوله الزّمن وأطواره بالتغيير " ص 38 .

يبدو الحداك جريئا في دعوته إلى هسيسة القيم الحضارية السّائدة وإحداث تغيير جذري في الأمور : في عقليتنا وممارساتنا وذهنيتنا حتّى نتمكن . بالرغم من الواقع الأليم . من صنع مصيرنا وبناء ملامح مستقبل المجتمع ، وبالتالي ، الإنفراس أكثر في وهج الحياة اليوميّة ، في وهج مجتمع ينبغي أن يكون دائم الحركة والتغيير ، مجتمع يرنو إلى قيم الحرية ونور الحياة طالما أنّ الحرية إمكان للمرأة والمجتمع معا ، وهي لازمة للتخلّص من كابوس التخلف والتبعيّة للأخر الغربي المستعمر .. فمشروع الحداك الإصلاحي / التنويري لا يرسم قوانين وشروطا للحداثة وإنّما فقط يلمع إلى معالم الحداثة فليست هناك نظريّة في الحداثة بل هناك منطق للحداثة ومنهج للحداثة وأسلوب .

إنّ برنامج الإصلاحي يولّد الجديد من القديم يدعو إلى تغيير نط الحياة القديم الذي يحول دون تطوّر المجتمع والقوى العاملة فيه . وعلى هذا الأساس سعى الحداك إلى هدم العادات السيئة الموروثة ونسق المهترئ من القيم وراح يستقرئ آيات وأحاديث ومشاهد من السيرة النبويّة ليبرهن على صحّة آرائه ودعائم دعوته ونجاعة إصلاحه الاجتماعي : " وكان من ذلك أنّ القرآن لم يوبّ لأحكامه بحسب الموضوع طبق الأصول النظريّة في تدوين المبادئ والكتب ، وبذلك كانت شريعته نتيجة ما في الحياة من تطوّر لأنّها فصول وضعت من قبل لحمل الحياة على قبولها وهذا

من أهم أسباب انتشاره المدهش في الزمن القريب ص 22 .

إن تفكير الحداد الحدائي بضطلع بدور وظيفي في رسم ملامح مجتمع عصري يتأسس على حركة الإصلاح الاجتماعي والحضاري ، على تقدير أن الزمن المعاصر ليس زمنا دائريا بل هو زمن منفتح ، متطور . فالتقليد متمركز على الماضي بينما التحديث متمركز على المستقبل ، فالزمن الحدائي يفكر في ذاته تفكيراً تاريخياً لا أسطورياً . فضلا على أن ملامح الحدائة ، معه تولد جمالية القطيعة والإبداع الفردي كظاهرة إجتماعية وحضارية تنشأ التقدم والرفق : " إن عامة فقهاء الإسلام من سائر القرون إلا ما شذّ يجنحون إلى العمل بأقوال من تقدّمهم في العصر ولو بمنات السنين ويحكمون بأحكامهم مهما تباينت أحوال المجتمعات الإسلامية باختلاف العصور " ص 38 .

ما أنجزه الطاهر الحداد في "إمرأتنا في الشريعة والمجتمع" هو تأكيد حقوق المرأة في الحرية وفي حق القول ، وحق المجتمع في استثمار كيان المرأة الفاعل في مختلف ضروب الكفاح وإختراق بنية الخطاب التقليدي السائد كاشفا عن لحظات وهنه وفراغاته وذلك باستخدام عقلانية منفتحة على مسارب النهضة العربية : " فبنا لنا من أمة هلكت بجهلها ووجود علمائها وخدايع أشرارها وبنا لله للإسلام الغريب المجهول بين المسلمين " ص 115 .

لقد توصل "الطاهر الحداد" إلى إجلاء فكرة تحرير المرأة مبدأ وقيمة تشريعية بالنّش في المفكر فيه والألمفكر فيه داخل النسق الذهني / العقدي . وهذا ما جعل برنامجه الإصلاحية ينكبّ على تثقيف المرأة وإعدادها صناعياً وصحياً وذهنياً حتى تؤمن ملامح المجتمع العصري القادر على الإنخراط في حركة التفسير الكوني: "لكن امرأة اليوم بتأثير روح العصر في تربيتها وتعليمها قد أخذت تكافح الحياة بجدة في عاصميا دينها " ص 38 .

وهذا ما طرحه الحداد منذ بداية القرن في محاولة للتجديد الديني بهدف تكييف الإسلام مع العصر الراهن قصد تأييد الذاتية الثقافية والوطنية . فالإسلام لا ينافي التطور ولا يلغي حرية التعبير والتدبر .

فالحداد يبدو متفائلا في مشروعه التنويري ، بإمكان ظهور نموذج اجتماعي

جديد يستلهم القيم الإسلامية العليا في علاقاتها الجدلية مع الوضع الاجتماعي والتاريخي لتنظيم المجتمعات الإسلامية. وهذا يستدعي النضال المستمر ضدّ خطر التقوقع على الماضي . لذلك أخرج رجال الدين والفقهاء في أفكارهم وممارساتهم ، وهو نقد إيجابي له أثر بعيد على مستقبل حركة التقدم والنضال الوطني /السياسي باعتبار أنّ التراث رمز لوحدة الجماعة ومحرك لمقاومة الآخر تحت كشافة الأسئلة وارتجاج الحقائق ومقاومة المسلمات : " أراني مدفوعا بقوة غريبة إلى أن أحبي بروحي الملتهبة وانحناء العابد المستغرق آمالي في نهضة المرأة والشعب التونسي والشرق عموما "ص 219 وإن أهمية الحداد لا تكمن فيما أنتجه من أفكار وما دافع عنه من مواقف . ولكن في المنهج الذي طرح به المسائل الأساسية وفي الروح التي عالج بها هذه القضايا سواء ما تعلّق منها بالوطني والديني ، أم بسياسة تعليم المرأة أو قضية السّور أو النهضة . وإن أهمية لا تكمن ، أيضا ، فيما قدّمه من إجابات ومقترحات بقدر ما تكمن فيها فتحه للفكر التونسي والعربي عامّة من مسالك ودروب يستنشق منها ويتنفس من خلالها . وهذا ما جعل فكره الإختلاقي مصدرا للإصلاح الفكري والنهضة الثقافية عن طريق النضال الوطني والتجديد الديني والعلمي مقتربا في الآن نفسه من النضال المقدّس ومنحتميا به ، ولقد أتاحت له فرصة الأخذ بأفكار العصر الحديث من رفضه ماهو قائم والتّشهير بالبديل وذلك بالإنفتاح على أزمة الهوية وعلى قضية الوعي التاريخي الذي من خلاله يتحدّد حضور الإنسان في العالم * (2) .

الهوامش :

* أمرأتنا في الشريعة والمجتمع ص 218 . الدار التونسية للنشر ط 2 . 1972 .

ص 22 نفسه ص 22 نفسه

ص 27 نفسه ص 38 نفسه

ص 38 نفسه ص 115 نفسه ص 219 نفسه

* 1 - سؤالات الإبدالات الكبرى في خطاب التنوير التونسي لمصطفى الكيلاني .

الحياة الثقافية . السنة 21 . العدد 77 . سبتمبر 1996 .

* 2 - حوار مع بول ريكور فيلسوف التأويل ، حاوره فتحي التريكي .

حياة الثقافية جوان 96 ص 44 .

الشعر سرّ رؤيويّ من الموهبة والتقنية

إعداء ومحاورة : فتحي أولاد بوهدة

تمهيد :

جاءت الأنبياء ، هذا الشهر ، أوت سنة 1999 بوفاة الشاعر العربيّ اليمني عبد الله البردوني . وهذا الخبر يعري أهل الثقافة الأدبية بالحزن لأنّ هذا الشاعر ظلّ على عمر عقود يحاول الكتابة الأدبية فيصيب منها أسهما كثيرة ويخطئ منها أخرى قليلة . ولقد أسعفتني الأيام فلقيت عبد الله البردوني مرّة في بيته بصنعا ، وذهب حديث الثقافة الأدبية بيننا ألوانا ، وكان أغلب الحوار يذهب ويجي ، حول شعري بأعتباره ذوب فكره ووجدانه . ولكنني قبل أن أطلع قراء الانحياز على هذا الحوار أدّ أن ألاحظ أنّ الأسئلة التي طرحتها على الشاعر ما تركتها كما هي بل صغت أكثرها في جمل تقريرية تشبه عناوين الفصول ، وفعلت ذلك لأوازن بين المضمون الذي يحلّله الجواب وغاية ما يرتنيه العنوان ، فالشاعر كان في أحبان كثيرة يجيب عن سؤال بما يزيد على ما يقتضيه بحيث يتلاشى التّركيز في موضوع محدّد يُراد تمحيصه لذلك كان اشتقاق العنوان من حديث الشاعر مرّة بعد مرّة سدا لهذه الهنة .

الحوار :

*ليس لي رأي في شعري .

- ليس لي رأي في شعري لأنّه صدى نفسي ينفث فلا يرى دخائله . وهذا شبيه بالإنسان فهو لا يرى عينيه إلّا في مكان محايد بالنسبة إليه أعني المرأة . الشاعر بفرغ من القصيدة ولا يرى فيها ما يرى الناقد من مواطن الرّداة والجمال . وهو ، إلى ذلك ، لا يمكنه أن يتعصّب لها منافحا دونها . إنّها ملك غيره وهبها له .

❦ في أن كتابة الشعر تغري بكتابة الشعر :

- ضمنت شعري في ست مجموعات قسمتها قسمين :

أولاً ديوان ... "من أرض بلقيس" .. (١) وله حديث طويل لا لمكانته في الفن بل لظروف إذاعته ، فلقد أحدث هذا الديوان لصاحبه سبعة لم يكن يتوقعها لثلاثة أسباب :

١ - أنه الديوان الوحيد المختار من ألف كتاب شعري من قبل المجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة عام ستين وتسعمائة وألف .
٢ - أنه الديوان الذي صدر في أهم مشروع ثقافي أدبي إلى اليوم وهو مشروع تجويد الكتابة الشعرية .

٣ - أنه الديوان الذي وقع بين أيدي لجنة من عدة مدارس نقدية : عبد القادر القط من المدرسة الحديثة وعباس العقاد من مدرسة الديوان ومحمد مندور من مدرسة القيم الفنية ، ولقد أجمع هؤلاء النقاد على رضاهم عن هذا الديوان ، وبهذا الاعتبار صار الديوان مرجعاً يؤرخ به الدارس لتلك الفترة من حياتنا الأدبية إبداعاً ونقداً .
ولمسرني أن تكون باكورة شعري على هذا النحو من عناية التقييم ، وعزاني ذلك عن اثنتي عشرة سنة منعنا ، الكتابة امتدت من آخر الأربعينات إلى آخر الخمسينات . إن هذا نشطني وحفز همتي على مواصلة القول الشعري الذي كان بالنسبة إليّ ، في تلك المرحلة ، موقفاً جمالياً ذا محتويات سياسية واجتماعية .

تلا ذاك الديوان ديوان " في طريق الفجر " (٢) وهو أعلى رتيلاً وأحدثاً من الديوان الأوك ، بدأت فيه اللغة تلين لي فأصطنعتها بسائر مستوياتها المعجمية والتصويرية والتركيبية لخدمة إرادتي ، ولكن تمثل اللغة شعرياً كان يتوازى مع صوت الواقع ، ذلك أن هذا الديوان تفجّر في مرحلة ساخنة هي مرحلة الخمسينات وأواسط الستينات ، وهي فترة كانت ذات خطر في حياتنا وسنعود إلى ظلال منها بعد حين .

لقد كوّن ديواناً (من أرض بلقيس) و (في طريق الفجر) المجلد الأوك من أعمالتي الشعرية وهما أطول ديواني شعر في الشعر العربي المعاصر .
ثانياً : المجلد الثاني ويضم أربع مجموعات هي :

1 - "مدينة الغد" (3) وهو نقلة نوعية في التفكير والتصوير وأستنطاق الأشياء وتوظيفها شعرياً ، لقد كان هذا الديوان بالنسبة إليّ مدينة حلم وشوق ، هو كاليوتوبيا عند الأوروبيين والمدينة الفاضلة عند الفارابي وجمهورية الشعر عند نزار قباني . صدر هذا الديوان عام 1970 .

2 - "لعيني أم بلقيس" (4) صدر عام 1975 ببغداد وحصل على جائزة من أجل إحدى قصائده ، وهي "أبو تمام وعروبة اليوم" (5) ، وهذا الديوان تجربة جديدة بين "مدينة الغد" وتجربة تبحث عن تشوير الثورة بعد أن وقع التصالح السياسي بين الثوكر المدافعين والأعداء المحاربين ، لقد أنتقلت الثورة من مرحلة إلى مرحلة ، من المرحلة المدينية إلى المقاومة في الأرياف .

- في الشعر والولاء :

كانت هناك مبررات وقضايا تتعامل معها تلك المبررات ، كان البدر نقيض عمه الحسن الذي أراد أن يكون وريث أخيه ، وكان البدر مختلفاً عن والده وعن عمه الذي يريد أن ينتزع منه العرش . وأخلاق البدر عن والده وعمه كان ذا طابعين متراكبين عميق وظاهري لأن الخلق كان كبيراً أولاد الإمام يحيى ، والبدر كان ابن الإمام أحمد وحفيد الإمام يحيى ، لذلك كان هناك فرق بين حفيد يحيى وابنه من حيث التغيرات في الأجيال الذي يحدثه التغيرات الزمنية أو الذي يحدثه تغير الأجيال في الزمن ، ولعلّ هذا ما جعل البدر أقرب من سواء إلى إجابة متطلبات المرحلة ، وتتعلق المسألة ببعض المطامح الثقافية والإقتصادية والرغبة في أن ينتقل اليمن من العهد الشموديّ إلى عهد الصواريخ كما يقال ، لهذا جميعاً كان شعري في مدح البدر مسابقة لتلك المقتضيات وشداً لأزره بأعتباره مناطاً لما ذكر ، ولكنّ هذا الشعر كان قليلاً جداً إذ لم يتعدّ قصيدين وهو على أيّ حال لا يصوّر البدر زعيماً وطنياً لا يرجو مطامع شخصية .

والملاحظ أنّ الشعر لم يكن وحده واقفاً في ساحة الولاء إذ شاركت فيه كلّ المجامع الثقافية وأنقسمت في ذلك إلى معسكرين : المحافظون وينتمون إلى الحسن والمتطورون ، كما كنّا نسميهم ، وينتمون إلى البدر .

في علاقة الأدب بالأحداث التاريخية الكبرى :

الأدب الذي توالى وجوده قبل الثورة هو نفس الأدب الذي زاد تطوراً بعدها ، فليست الأحداث هي التي تكون الأدب وإنما تتكون الأدب مع الأحداث ، فالشاعر الذي بدأ يكتب في أواخر الأربعينات إنما أنه بلغ مرحلة من النضج في الستينات وإنما أنه ظل براوح في مستوى واحد ، لذلك تبدو المسألة ، عندي غير متوقفة توقف لزوم على لحظة سياسية معينة أو على الزيادة والنقص في سني العمر ، وإنما هي ذات مراجع في إمكانيات الشاعر على التطور ، فهو يمكنه أن يتطور فنياً ورؤيواً دون حدوث لحظات سياسية كبرى . وهذا مقرر في التاريخ الأدبي ، ففي كثير من العصور الهادئة أو الموتورة أنجز الأدب شامخ دون أن يكون ذاك الأدب اقتضا ، لازماً لزوم أطراف أو تعاكس لذاك الهدوء ، وهذا التوتر ، والذي أود تأكيده ، عندئذ ، هو أن الأدب اليميني الذي حدث قبل الثورة كان يشر بفتوح أفقية شعرية غير مرتبطة ارتباطاً آتياً مباشرة بالأحداث التي أطلته . وهذا رأي يمكن سحبه على أدب ما بعد الثورة والوحدة (6) ، فلا أعتقد الوحدة تأتي بأدب جديد لكنها ستقو القابل للتجديد .

إن الظاهرة الأدبية مرتبطة بذات المبدع ، فإذا كان هذا يحمل في ذاته قابلية التطور أمكنه أن يستقطب جمالياً موضوع سياسي وغير سياسي لأن طبيعة الشعر والفن عموماً قائمة على كشف الأشياء ، بفهمها وبالعلاقة مع الواقع أيضاً . وهذه هي جدلية الإبداع والموضوع كما أفهمها ولعل هذا يحضني على ملاحظة ما يفعله التاريخ الأدبي بعيد الأدياء فهو يسقطهم من سجله لأنهم يتكلسون في فترة معينة ولا يطبعون نداء ، النسبية من عصر إلى عصر مع أنه أحد معاني خلود الأدب المحورية .

- في أن الشعر يعالج الأمية النفسية :

تناول مفكرون عديدون علاقة الظلم بالمظلوم ، وعندما تناولت ، أنا ، هذا الموضوع لم أخرج فيه كثيراً عما قال به أولئك المفكرون ، وأريد أن أذكر خاصة مالك بن نبي الذي قال : « الإستعمار في قابلية الإستعمار » (7) ، فأنا أكاد أتابعه حتى في ألفاظه عندما أقول : « الظلم في قابلية الظلم » . وهذه الفكرة

في حقيقتها فكرة سائر العصور ، ذلك أننا إن عدنا إلى التاريخ لاحظنا أن الظالم لا ينبع من نفسه وإنما يؤلفه المتحمسون الناعقون حول كل ناعق :
فاذا ما الملقون تولوه تولى طباعه الكبرياء

على أن هذه الفكرة المبدئية كانت لها ظواهر تطبيقية مخصوصة في العهد الإمامي ، إذ لم يكن هذا العهد من خلق ذاته وإنما شكلته نفسيات كانت مستعدة لقبوله ، لهذا جميعا أنطلقت في قصائد هذا المعنى من سؤال مركزي هو : كيف يرفض الإنسان دخائله السيئة ؟ وكنت أربط دوما هذا التبدل الداخلي الممكن بالتبدل الخارجي / الإجتماعي :

فليس عدانا وراء الحدود ولكن عدانا وراء الضلوع
تري كيف نمضي؟ وهل خلفنا منوع وبين يدينا منوع
وأين وصلنا؟ هنا لم نزل نبيع المحيا ونشري الهجوع

وعندما أعود إلى علاقة هذا الموضوع بالشعر لا أجد نفسي أعالجه بالطريقة التربوية المباشرة ، وإنما أقصد إلى معالجة أمة المتعلمين وهي الأمة النفسية التي هي أهم عندي من الأمة البصرية من بابين يتقاطعان هما : الباب الفني وباب التوصل ، وأنا لا أهتم بالتوصل أكثر من اهتمامي بالفن . ولكنني بعد أن أفرغ من القصيد أشعر بوجود الآخر / المخاطب ، وهذا هو معنى القول النقدي السائر ... الأدب ذو بعد اجتماعي .

وهذا من صعوبات الكتابة الأدبية المهمة عموما ومن الصعوبات الأكثر أهمية في الشعر . إذ لا بد لك أن تكون شاعرا فترضي الفن وموصلا جيدا فترضي القارئ . وهذا الأفق من التصور ، كما يلاحظ ، يضع في مجاله الشاعر والقارئ جميعا ، فلا يمكن لمن أراد الذهاب بعيدا في قراءة الشعر إلا أن يوجب على نفسه جهدا معيناً واستعدادا مخصوصا لأن من يود تعلم السباحة تلزمه مغالبة الموج لا السباحة في ماء ضحل !

- في أن الشعر تلقائية تبعث على القول وتقنية تجوده :

لقد حصّلت في نفسي أنطباعا ملزما بهذه القصائد المكوّنة من أبيات وأشطار قبل أن أكتب الشعر ، ثم تعلمت اللغة من هذا الشعر . وعندما بدأت الكتابة في

منتصف الأربعينات كنت معباً بهذه الموسيقى التي ترسبت في إصاعن وعي أو
دونه . ولعل طبيعة العمى ساعدت ، هي الأخرى على كتابة العمودي دون سواه ،
فأنا أنظم البيت ثم الذي يليه إلى آخر القصيدة ثم أعود بعد الفراغ من ذلك إلى
الآبيات واحداً فواحداً فأنظر في أعطافها عبارة وتركيباً وتخيلاً فأصلحها ، وقد
أضطر إلى خلع بعضها أو ترميمه ، ولو كتبت في غير العمودي يلزمني تجاوز
وحدة البيت والقيام باصلاحات تمتد على أسطر شعرية كثيرة ، وذلك يحتاجني إلى
حاسة البصر لأن الذاكرة قد تخونني فلي التمثل التام لهذه الوحدة الجديدة
الفسحة جداً أحياناً . على أن الذي أريد تأكيد هو أنني لا أتخلّى في كل حال
عن إجابة داعي الشعر في إطار من ثنائية التلقائية والتقنية . فالتلقائية باعتبارها
استجابة للمؤثرات العامة تبعث على القول الشعري ، ولكنها تظل غير
كافية لإنتاجه أو نقرنها بالتقنية باعتبارها إعادة نظر وتنظيم . وعلى هذا يبدو
الشعر لي موهبة صناعية أو هو تلقائية خاضعة للتنظيم إذ لا بد في الشاعر من
رجلين : الشاعر الذي يشعر والنّاظم الذي يرتّب . لكن النظم العادي الحالي من
الحسّ الروبوي يكاد يجعل من الشعر معجمانحويلاً لا يلتزم على أية خصوصية
ناבעة من جنسه .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أمّا بالنسبة إلى إشارتك من أنني مأخوذ بما يشبه هذا المازق بحسب ما أشار
إليه عز الدين إسماعيل عند نقد شعري (8) فأودّ أن أؤكد على أن هذا الناقد لجأ
إلى القصيد الذي يقبل الرأي ، ولكنه يحاول أن يقرن له مثيلاً فلا يجده . وعزّ
الدين إسماعيل بفعل ، عندئذ ما فعله عنثرة قديماً عندما سأله : كيف تقتل
الشّجاع ؟ فأجاب : أضرب الجبان ضربة يفرغ لها قلب الشّجاع فيخافني دون أن
أكون ، في الحقيقة ، قادراً عليه . وأنا أوردت تلك القصيدة لأنني أحرص على أن
أبدو بمحاسني وعيوسي ، ولا أدعي غروراً عندما أقول بأنني أعرف قدري ولا
يهمني الناقد إلا من جهة حياده في الحكم ودقته . أمّا أنني أقرأ الناقد لأعرف
شعري فلا .

ـ إلى الأدباء الناشئين :

لا أظن أن من يجد في نفسه العاطفة الأدبية والمنزع الفني في حاجة إلى

تصحيحة لأنه يعلم أنه لن يكون كاتباً مجيداً إلا إذا أصرَّ على الشكِّف اللُّغوي خاصَّةً والشكِّف في مجاله العام . وهذه الملاحظة يمكن أن تكون حسن ما أشرنا إليه سابقاً من تعاقل بين الموهبة والصناعة في الإنشاء الشعري .

على أنني لا أودُّ إنها . هذا فأشير إلى ملاحظة مهمة عندي وهي ألا يثق الكاتب الأديب بنفسه وألا يحسن الظن بما كتب إلا قليلاً !

أجري الحوار في جوان 1992

الإحالات :

- 1 - من أرض بلقيس 55/1 وما بعدها . دار العودة . بيروت 1986
- 2 - في طريق الفجر 295/1 وما بعدها . دار العودة . بيروت 1986
- 3 - مدينة الغد 5/2 وما بعدها . دار العودة . بيروت 1986
- 4 - لعيني أم بلقيس 17/2 . دار العودة . بيروت 1986
- 5 - يقول في مطلعها : (البيسط)
ما أصدق السيف إن لم ينضبه الكذب
وأكذب السيف إن لم يصدق الغضب
وفي البيت إشارة غير خافية إلى بيت أبي تمام الذائع :
السيف أصدق إنباء من الكتب
- في حده الحد بين المجد واللعب
- 6 - قامت الثورة البعثية في 26 سبتمبر 1963 وأنهت فترة الحكم "الشيوعي" الذي مارسه الأنظمة خاصَّة .
- راجع : "اليمين ماضيها وحاضرها" لأحمد فخري ط 2 . منشورات المدينة . بيروت 1988 .
- 7 - شروط النهضة لمالك بن نبي . ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل . دار الفكر دمشق 1986 . راجع خاصَّة فصل "معامل القابلية للإستعمار" ص 152 وما بعدها .
- 8 - يقول عز الدين أساعيل في قصيد (أنا وأنت) لعبد الله البردوني ، من ديوان (في طريق الفجر) : « في هذه المقطوعة يوشك كل بيت أن يكون كياناً معنوياً قائماً بذاته وهي جميعاً تدور في فلك معنوي واحد » ... ولا يقتصر الأمر في هذه الحالة على القصيدة الواحدة بل على كلِّ القصائد التي قبلت وفقاً للمنهج البنائي التراكمي منذ القدم وحتى اليوم . وفي هذه الحالة تصبح نظرنا إلى الشعر نظرة مثالية مطلقة ولا غرو ، عندئذ ، إذ كان الشعر العربي ، بشكله التقليدي متجانساً كافيًا مع حضارتنا القديمة المثالية ، حضارة المطلق . الشعر المعاصر في اليمن دار العودة بيروت 1986 .

الرّحيل عن مدن الهزائم

خيّط نفسي واحد ورؤية فنيّة كاملة.. أمام سطوة المدينة

بقلم الدكتور / أحمد كشك

مصر

حين وضعت أمامي هذه المجموعة القصصيّة من شاب هادئ التّفسّ يحمل في وجهه سمة حزن يشوبها حياء ، وأهداني إيّاها ، أحسست على الفور أنّي أمام شيء ، جذير بأن يقف الإنسان أمامه وقفة متأنية هادئة تناسب هدوء صاحبه ، ومع الإنتهاء ،



من هذه الوقفة بدا لي بما لا يدع مجال للشك أنّ جيل الثّباب يحتاج من القارئ والدّارس إلى وقفة حيّة ووعي واحترام ، وما أن تمكّنت لي قراءة المستمتع ، إذا بهذه المجموعة القصصيّة (الرّحيل عن مدن الهزائم) للقصاص المصري المتكّن خالد محمّد غازي تفصح عن إدراك صاحبها الكبير ووعيه التام بالتّكنيك الواجب للقصة القصيرة . نحن أمام تجربة فنيّة يحكمها خيوط نفسي واحد

ورؤية فنيّة كاملة ... تملك هذه التّجربة الوعي الكامل بالحيط الدّرامي غير المتناقض رغم القصص وكثرتها النسبيّة ، ذلك الحيط الذي أسهمت اللّغة والصّورة

والفكرة إسهاما وصل إلى الإشراف به إلى الجودة والسّام ، ومن هنا أجد لزاما على أن أسجّل ما أستطاعت قراءتي أن تصل إليه من ملاحظات هي جزء من طاقتي على القراءة والإستماع والتي لا تحب الإشباع الوارد المتعدّد في هذه المجموعة ، إذا ما تعدّدت لها القراءات وتنوّعت الأشخاص .

أزمة الواقع الحلم :

يعبر الحيط الدرامي في هذه المجموعة عن أزمة الكاتب وحيرته المثلّة في التوتّر القائم بين آماله وطموحاته وواقع العالم المعاصر الذي يحوط به ، فالصراع بين قيم تحاول الإرتقاء ، وعالم يمثل غولا قاتلا ، وفي بؤرة هذا الصراع نحسّ بقدرية الدراما اليونانية ، ولأجل هذا ظلّت نهايات أعماله تنبئ عن صرخة كالبداية فقد خطّ مسارا كبدية ، والنهاية واد من التّشاؤم ليس بالقليل ، وظلّ إنتصاره على القدر المعاصر حبس حلم يجد نفسه عند إغفائه تلك الإغفاء التي تنسبه في لحظة الواقع الزائف المحيط به ، فالحلم في الأعمال لمسة الراحة التي تكسّر في غفلة جبروت الواقع وتحبّي بقدر ما بقدر الإرادة لدى الكاتب ليستطيع الوقوف أمام سطوة المدينة .. يتردّد الحلم بين حين وحين واضحا موحيا بعالم مثالي بوتربي للحب فيه قيمه وللإنسان فيه دور وللحرية فيه مكان ، وينبئ عن اتصال الماضي لدى الكاتب بالمستقبل المأمول مع هروب من الواقع المؤلم الحاد .

ومن إدراك بعض مسارب هذا الحلم نجد الكاتب يقول في قصّته «انتظار» :
« أنا فقير يا سيّدي ، لكنني أملك الحلم - ترى من وهبه لي وأنا الفقير المعذب المشرد ! » ويقول في «العزف على إيقاع الحزن» : أبقيتني زوجتي من النوم قائلة : ماذا بك ؟ سمعتك تهذي بكلمات غير مفهومة ...

سألتها : مثل ماذا ؟ هل يرضى الحلوب أن يصبح مرّا ؟ هل يرضى المرّ بأن يصبح حلوا ؟

فبرغم استيقاظه لم ير في الواقع شيئا ، ومن ثمّ حاول جذب زوجته إلى المشاركة في الحلم الذي يوحي أن الحلو له سبيل والمرّ له آخر ، ومن غير المعقول أن يتلاقيا في عالم مثالي مشيرا بذلك إلى خلط الواقع المعاصر بين قيمتيهما ولأنّ الحلم عالمه

الحقيقي سرب في شرايينه حببته قائلا : « وتسرين في شرايين حلمي المأمول » .
ولأنه نبض الحياة المرتبط بالضحية والنور لديه خاطب به « ضحى » وناداه قائلا :
« يا أملا أنتظر مجيئه .. يا حلما قد أموت لكنته بداخلي ينبض بالحياة » . لقد
أضحى الحلم قيم حياته مشاطرا حين قال : « والتقينا أنا والمرأة والحلم » .

ولأنه كيان مسبطر لم يدرك أحيانا أنه منام في « مناظرة واقع » ، فقد أستحال
الواقع لديه مناما حين طلب القاص من في اليقظة أن يعيشوا المنام « أكنتم تعلمون
بما يدور وأنتم نائمون » ، وكى يصيح هذا الحلم واقعا معاشا بدا الواقع فيه واضحا
بحدوده غير هائم ففي الرحيل إلى أميرة » يقول : « حلمت بك الباردة حلما غربيا
.. في الحلم حدث صدام بين قطارين وأشتعل الحريق بينهما » ، وهكذا يكتمل
تصوير الواقع لديه في الحلم حيث الصدام والقطارات والإشتعال .

الحلم في أعمال الكاتب راحته . شد أزره أمام واقع طاع . ويكفي أنه جعله
يحكم رمزه واضعا قدرته موضعها المناسب حيث لم يظهر سوبر مانا يغلب الواقع
تماما .. وإذا كان الحلم كيان الكاتب وذاته فإن هذا الكيان يصدمه دائما واقع نا .
عنه مخالف له يظهر جلياً في صورة « المدينة » التي رفض فيها الزيف
والنفاق وقتل الشهباء والوجدان والإحساس ، ورفض الغول اللاإنساني الذي يبيت
الأمل ويغنى الإنسان .

أضحت المدينة طرفا الصراع الدرامي ومحور أساسياً فيه ، ففي المدينة
وضحت كل إنفعالات الكاتب وعذابات ، ويكفي أنه يعطي صورتها كاملة في
« أحزان حارتنا القديمة » قائلا : « سأحكي لك طرفا عما يحدث في المدينة. الظلام
الدّامس يخيم على كل شيء » ، الكلاب ترتع في الطرقات . لم تعد تعض اللصوص
بل أصبحت تعض الأبرياء » . « وهي البلاد التي « تأمر فيها الدجالون على الأنبياء
« والبلاد التي « تنفي أبناءها واحدا واحدا في الخفاء » .

الكاتب في صراع دائما مع المدينة يطاردها وتطارده يقاوم فيها ويقاومه تصبح
أرقه الدائم . « إن حياتي يجب أن تكون هنا . حيث أقاوم العفن والظلم .. حياتي
في المدينة مليئة بالأحداث والتغيرات والحقائق » .

وقد بلغ العفن مداه إذ صرّح الكاتب « ذهبت أصلي في جامع حارتنا فسرق

حذائي ومن داخل بيتي سرقت ملابسي . إنني خائف أن تسرق مني نفسي ...»
نعم الكاتب في أعماله مضاد للمدينة، لأنها تعتمد على الزيف والتناقض، ولأنها تقتل المحب والشاعر والفنان ولأنها تكبت الإحساس الرهيف والوجدان، ولأنه ضدها لم يجهده نفسه في قصصه أن يعرف منها الهدى والشكل والأركان فقد استقر في باطنها ومعناها فبدا الزيف الخارجي لديه داخلية، من أجل ذلك لم يعرها التفاتة تحدّد المكان والزمان، فالأماكن لديه ثابتة لا تتغير كثيرا في كل أعماله ويبدو أن شكلها الخارجي مجرد ديكور بإمكانه أن ينزع من هنا ليوضع هناك .

جاء المكان مرتعا غالبا للعلاقة بين الكاتب والمرأة ومعظم لقاءاته معها كان محورها الشارع في الخارج، في الزحام، في الطريق، ومن هنا أضحت العلاقات في معظمها عابرة تنتهي في معظم قصصه بانتهاء اللقاء، فما من علاقة عاشت معه الليل والنهار حتى الحلم المحتاج إلى سكن وهدوء واستقرار كأن يأتيه أحيانا في المكان الخارجي .. من هنا أضحت المكان وعاء عاما حيث القطار فيه غير القطار والنيل غير النيل والصخرة غير الصخرة . فقد جلس الكاتب على صخرة النيل والعزف الواقعي يوجب الصخرة للبحر أو الشلال يقول : « سرت مرة أخرى على النيل أرهقني التعب جلست على صخرة كبيرة جدا » .

والترام يتحرك بالكاتب وهو سبيل مواصلة ماتت أو أصرها أو كادت : فأين راكبه الآن ؟ أين وجوده الواقعي إلا إذا كان وجودا نفسيا .. يقول الكاتب في « هل حدث هذا » : عبرت شريط الترام متجها إلى المكان الذي سأقابلها عنده ، وجدتها واقفة تنتظرني . خالطني إحساس بالحبور وأن العالم الذي يحيط واسع جدا » .

فالترام غامض غموض المكان ، لأن حدهما نفسي ولبس خارجيا ، وكثيرا ما كان الغموض أساس رؤية المكان يقول في « وداعا » : « وجدتني في الشارع منزويا في مكان مظلم .. » وهل هناك من غموض أكثر من قوله في « قرار » : « قدت خطاي إلى هذا المكان الذي أجهله » لم يعد المكان وحده مكانا داخلية نفسيا غير واقعي فقد أضحت الزمان أيضا في المدينة زمانا غير زمان البندول الذي يتحرك من خلال دقات عقارب ، أضحت الزمان زمان النفس والشعور ، فالزمان يعيش في الكاتب يترك أنه الواقعي ليستقر في الحلم والخيال ذكرى ماض وأمل

مستقبل .

يقول في « قرار » : « صوت الماضي يطفو ، صوت الحاضر محبوس في الحناجر : صوت المستقبل مجهول تنتظره » .

فالزمن الإيجابي ماض يطفو ومستقبل مأمول ، أما الحاضر فسليبي محبوس هو زمن التشقي زمن الكلاب ، زمان يعرف كيف يدوس الأزهار ، ومن ثم فما عاد هذا الزمان الحاضر كما يقول في « العزف » على إيقاع الحزن « زمن الفرح أضفت المدينة كما عهدنا على الزمان والمكان ظل عتمة وظلام ، ومن ثم لم يعد واضحا لدى الكاتب إلا الزمان الماضي والزمن المشرف على الغيب وهما معا من نسيج حلم وخيال لا من حركة وواقع . وقد جمد إحساسه بالمكان والزمان . في الواقع أن المدينة ظللتها إحساس العادة حيث لا جدة في الشخوص والأماكن والأزمنة . يقول مصورا تحكم العادة في « زيف الصمت » : نفس رحلة الذهاب كانت رحلة الإياب إلى بيته » . ويقول : « في أحزان حارتنا القديمة » : سأحكي لك طرقا عما يحدث في المدينة . في حارتنا التي رحلت عنها منذ سنين .. حارتنا نفس الحارة » .

ولأن العادة تذهب البهجة والتأثر فقد اعتاد أن يخلو من الإنفعال لكثرة ما اعتاد يقول : « شق طريقه وسط الأحساد البشرية بصعوبة بالغة بعناد خال من الإنفعال .. كان يسير » ..

فقد أوصلت العادة كما نرى العناد إلى عناد سلبى خال من الإنفعال وقد أفصح عن ذلك حين قال : « لا .. إنني تعودت على مثل هذه المواقف » .

ركائز الحلم وقسوة المدينة التي غام فيها الزمان والمكان وآستحكمت فيها العادة أبانت قضية صراع بين ما هو مثالي وما هو واقعي ، وفي هذا الصراع الدرامي ظهرت قضية محورية تمثلت في التعبير عن أزمة الكاتب أو صاحب الكلمة في هذا العالم المعاصر ففي أعماله ثوابت توضح ذلك ، فالقلم في قصته « محاولة » لا يكتب بلا مداد . ومداد قلبي المبادئ . فلا تتحدنى قلبي ومداده .. هما حياتي » .

وفي سبيل دور الكاتب وجه قلمه مرآة صادقة تعكس ما بالمدينة في قصته « ضحى » يقول : قلبي كان مرآة عكست حزن المدينة وكآبتها وأأسها » وبه ، أي بهذا القلم يستطيع أن يصنع في الليل بابا ونافذة لفجر طال أنتظاره أي أن

مداد القلم إشراف إلى غد مأمول إذا ، واقع مشوّه لا يقيم إحتراما له ولا لصاحبه ، ففي « اللّيل والحلم » لا يجد الكاتب سبيلا لنشر كتابه الأوّل ، فحين وعد جبيته بفستان أنيق إذا نشر كتابه الأوّل بان أن الوعد غير مضمون ، لأنّ مدير إحدى دور النشر قال له : « لا أغامر بالنشر لكاتب جديد » . وعندما ذهب إلى ناشر آخر أخبره بأنّه لا ينشر إلّا لكبار الكتاب وقد ذهب لثالث ورابع وخامس حتّى تبيّن له أن هذه مؤامرة من عصره ومدينته عليه .

محاولة النشر أضحت أملا أحسنّ به في قصّته « إنتظار » و« إنتظار » قرين الإستقبال والإستقبال غائم مجهول . وهذه التي كان قد وعدّها بالفستان حين النشر قالت له في هذا المكان « عندما تصبح كاتباً مرموقاً ستنسنا » . وكأنّها أيضا ترفض في قراره نفسها أن يكون كاتباً . وقد استطاعت زوجته أن تعي ضياع قيمة الكاتب التي تدور في هذا العصر حول لا شيء ، وسوف تنتهي في هذا العالم المادي إلى لا شيء ، حين قالت له في « نزيف الصمت » موضحة أزمة الكاتب في هذا العصر ، تقول زوجته : « من سهوك طول الليل في هذا البلاء ، الذي يسمى القراءة .. ماذا جنبنا من القراءة سوى الفقر وأكوام من الكتب والمجلات التي ضاق بها منزلنا » . وتلك محنة الكاتب المعاصر أن يدرك أن عمله بلا قيمة .

بعد هذه المعاصرة للكاتب وغريته في المدينة وتجريد الزمان والمكان واحتكام العادة فيه وكلها خيوط درامية أحكمت الصراع الدرامي في أعماله في ضوء حلمه المستمر يبدو أن استخدامه الرمز سبيلا في توضيح هذا الصراع أضحي مطلبها فنيا ، وقبل تتبع الرمز لديه في بعض الأعمال نبين رمزا واضحا إرتبط بحلمه فمثل خصوصية في أعماله وهو الممثل في « ضحى » « إشراقه أمّله وغفوة حلمه الناعسة ومستقبله الذي يحارب في سبيله غول المدينة وإرهابها .

ترددت ضحى كثيرا بلفظها ومعناها في أعماله كثيرا ففي « الرحيل إلى أميرة » يقول : « لا بدّ أن نلتقى نتوحد ليأتي الضحى من توحدنا » .

فالشحوة غايته وفي « العزف على إيقاع الحزن » يقول : « ونتوحد نتجذب طفلة واسعة العينين ونسميها ضحى .. ترى هل أستطيع أن أبني لها بيتا واسع الطرقات واسع الردّهات » .

فالتوحد طريقه إلى ضحى حلوة العينين التي في سبيلها يخلق لها بيتا من
بوتوبيا واسع الطرقات ، واسع الردهات ، ويسري الرمز واضحا حين يربطها
بالانتظار قائلا في قصة بعنوان << ضحى >> :

<< إلى ضحى التي علمتني الانتظار

أحبك أحبك ولا أدري لماذا أو ماذا بعد ؟ >>

هي غايته والطريق إليها صعب مجهول أو كما قال : << يا أملا أنتظر مجيئه >> .
ولأنها البسمة الوحيدة لديه ونقطة الضوء التي يسعى إليها بثها أحلامه وأشجانه ،
عرى نفسه وذاته أمامها قائلا : << أنا يا ضحى رجل بسيط لا أملك إلا مبادئي
التي أشعر أنها أكبر من الفقر والألم والفرح والضعف والقوة والهزائم
والإنتصارات >> . ويجسدها كيانا حيا مستمعا يحكى لها : أقول لك شيئا ربما
تضحكين منه .. وأنا أسير في شوارع المدينة وحدي أحب أن أنظر للفتريات ، ولا
إراديا أعد ما في جيبى من نقود .. ثم أحاول إقناع نفسي أن بمقدوري شراء أي
شيء .. فستان .. حقيبة يد .. حذاء >> .

إحكام في توظيف الرمز ، فاستمرارية << ضحى >> لم توقع القاص في غموض
أو تناقض حيث أضحت ضحى لديه بارقة الضوء والأمل المنشود ، ولم يقف الرمز
عند هذا الحد وحده فقد أفصحت أعماله عن إستخدام فني يلعب في بناء القصة
ذورا هاما وهاهي بعض من أعمال توظف فيها الرمز دون لیس أو غيبوبة .

ففي قصته << الحزن برحل عند المفترق >> وهي قصة تحكي بطولة أطفال الحجارة
يقطع مشاهد رؤيته محافظا في التقطيع على وضع الغاصب الغاشم في عتمة
المقاطع وظلامها ، ووضع القوة المتوفرة للحرية والعدل في دائرة الضوء ، ومن هنا
كانت المقابلة بين العتمة والنور رمزا للصراع .

يبدأ الكاتب القصة بمدخل ظلامي يقول فيه << الظلام يغشى كل مكان >> وهو
ظلام يوحي برهبة حسية ونفسية ، وكما يولد النور من الظلام تأزر الجمع خلف فتاة
السادسة عشرة التي وفزت فيهم الإحساس فانطلقوا جميعا في سبيل قتل المارد
المخيف ليكون ختام القصة ضوءا يظهر في النهاية << ظهر نجم صغير في السماء
الحالكة الظلمة .. منذ زمن كبير لم يظهر >> .. فالرمز هنا موجود كما قلت في

إحكام علاقة المتضاد بين الضوء، والعتمة والظلام والنور .

وفي "أحزان حارتنا القديمة" تركّز الرّمز في شخصيّة حامد الذي بدا مظهرها للشراء ، الكاذب ، وصورة من صور المدينة الخادعة التي لا تعتمد على أصل ، فالتّاس دائما إلى حامد ، ولكونه رمزا تناسخ في مسميات أخرى حين مات بدلالته نفسها بنفسه يقول في ذلك الكاتب : مغفّل هذا الذي قتله .. كان يظنّ أنّه يموت حامد تموت أشياء كثيرة، لكن لم يكن يعلم أنّه سيظهر على مسرح أحداث حارتنا حامد جديد".

المنافخ في هذه الحارة التي تشبه حارات نجيب محفوظ واحدا فالوافد جاء في ثوبه القديم وهو ملاذ في كلّ حال .. وفي "وداعا" كان القطّ رمزا لاستشراء ، خيانه من لا يستحقّ العطف والثواب فقد أنقذ من هلاك فلما استقام عوده صار مصدرا للإهلاك، وهكذا حال الدّنيا ومن فيها نعلم من فيها الرّماية حتّى إذا ما اشتدّ السّاعد تلقينا السّهام .

والطلاق في "الرّحيل عن مدن الهزائم" يمثّل ثورة على القيد أيّا كان شكله حتّى ولو كان سوارا من ذهب ، وقضيّة القتل في "مع سبق الإصرار والترصدّ" بناء على علّق الحبيب تظهر قدرا من العبيثيّة في حياة الإنسان حيث يصير الأسود أبيض والكره حبا أو الحبّ كرها فكلّ شيء في نطاق هذه العبيثيّة سواء .

اللغة والرّمز:

جملة أمور تداعت أمام قراءتي للمجموعة القصصيّة (الرّحيل عن مدن الهزائم) للفاصل خالد محمد غازي فقد بدأ الحلم عنده محورا تركّزت فيه مثاليّة الكاتب وواقعيّة المدينة وتحدّد فيه دور الزّمان والمكان وآستحكمت العادة فيه ودار الرّمز حول هذه الأمور اللهمّ إلا في بعض أعمال نادرة حكّت بطولات الفدائيين وكانت بطولات في ثوب حلم وأمل أيضا ، وهنا يحقّ للقارئ أن يقف وقفة أمام التّكثيف اللغوي الذي استُخدم في تصوير هذه الأعمال والإفصاح عنها .

والمعنى في هذه اللغة يجد فيها جملة أمور تستحقّ الإهتمام والنّظر ، ومن هذه الأمور بان أمران : الأوّل : توظيف هذه اللغة ودلالة الإسقاط من خلالها وتكثيف الرّؤية فيها وإشعاعها .. الثاني : شاعريّة هذه اللغة حين جاءت محور خيال وحلم

لهذا الفنان .

وفي النقاط بعض مظاهر للتعبير . عن الأمر الأول نقول إن اللعنة في مجمل هذه الأعمال أصبحت جزءاً من الإبداع ولم تعد شكلاً مسطحاً وحيد الدلالة والمضمون ففي " انتظار " يتحدث الكاتب عن ابتعاد نوأل قائلاً : " أومات نوأل برأسها وفي عينيها عشرات الأسئلة الحرساء .. تورد خدّها آبتعدت عني .. وأفترقنا تعلقت عيناى بمصباح الشارع الذي تتطاير حوله حشرات بشعة يقهرها الضوء ، فسقط على الإسفلت مَيّنة سوداء " .

ونوأل الكاتب هذه برزت صورة لعالم مادّي، حيث بلغ ثمن فستان زفافها عشرة آلاف جنيه وهي التي كانت تتأبط ذراع عريس يشبه برميلا من براميل البترول ، ولكراهية الكاتب إياها لفظها لأنّه قبل وجودها كلّ شيء، ينتمي إلى المادّة . وقد بانّت كراهيته في عطاء ، لغته حيث أسقط صورة الحشرات البشعة التي قهرها الضوء ، على الإسفلت مَيّنة ، وبهذا الإسقاط يكون الذي هوى ومات هو نوأل رمز العالم المادّي الساقط على إسفلت من مخلفات البترول ... وتأتي الجملة حاملة إشعاعاً كبيراً رغم إيجازها حين عبّر عن إرث المرض والضيق والفقر عن الوالد بقوله في " تزييف الصمت " : " لم يرث عن أبيه إلا السعال الحاد ونحو الجسد " .

وكي تتكشف رهبة الظلام والخوف في المقابر لم يجعل وحشة المقابر وحدها سبباً للإحساس بالرّهبة بل وحفّزها بظهور مفاجئ لرجل لم تكسر أنسيته حدود هذه الوحشة ، لأنّه بدا مجهولاً خلف نظارة سوداء يقول الكاتب موظفاً لغته في تصوير هذا الرجل : " غير أنّي ما كدت أقترّب من مدخل المقابر حتّى ظهر أمامي فجأة رجل يعترض طريقي ، كان يخفي ملامح وجهه خلف نظارة سوداء ، زجاجها سميك " .

والحرص على أن تكون كلمة الكاتب موازية لانفعاله ظهر صريحاً ففي " قالت أذكرني " يقول : " متى تكون الكلمة بمساحة الإنفعال وحجم وفائي لك بحجم كلمتي " .

ويتحدّث عن هذه اللغة التي أجاد توظيفها قائلاً في " انتظار " : مفردات لغتي صعب أن أكيح جماعها .. أريد أن أقول ما أريد وأفعل ما أريد .. وفي امتلاك عطاء اللغة التركيبي أستخدم ما لا يمثّل خروجاً على المألوف وفق قواعده دون

أفتعال، فقد آستخدم تقديم المستصوب والجار والمجرور في بعض أعماله بغية توضيح الحيط الدرامي في أعماله فهو يقول : " في الزحام وجدتكَ وفي الزحام فقدتكَ " مقدّمًا الجار والمجرور وفي التقديم وعي بأنّ الزحام هو لبّ الوجود والفقد معا . وهذا ما أفصحت عنه رؤية المدينة التي كانت غولا في حسابه .. وقد تحكّم المنصوب لديه في المطالع بدءا ، وحيدا خرجت ، عفوا يا صديقي ، دائما ترتعش ، على شفتيها ، منذ زمن لم أكتب .. وفي البدء به تركيز على الوحدة والإلتماس والديمومة والإستمرار .. وربما بدا منه ما لا يرام حيث بدت في أحيان نادرة لغة إفصاحية إنفعالية ناقضت خياله الحالم فالأسئلة المباشرة ضيّقت من فنية فقرانها ... هل حدث هذا ؟ ربما ، لم تفهم ماذا أعني ، واعجبا ، لماذا تفرض علينا الأتّام ما لا نحبّه ؟ لماذا لم تكتب لي ؟ لماذا قلت ؟ ألم أقل أرايت ؟

وهي أسئلة يصبح من خلالها عمق الجملة أمّلس ساذجا شحيح الإشعاع ، بيد أنّ رؤية شعريّة حركت أمر هذه اللّغة لدى الشّاعبي فقد أدرك في كثير من المواقع وبخاصّة الحاملة دور الإيقاع وأنسجابه في الإيحاء ففي " أنتظار " يبدو إيقاع المتدارك في جمل عفويّة :

ARCHIVE

http://Archivebeta.Safaril.com

هي شمس فوق الشّمس .. حرف فوق الحرف

يصنع في المجد الآتي من وهج الشّمس

هي تعلم أنّي أكره عهد القس الفاسق

وقد وقع الكاتب لغته كي تماثل حركيّة الصّورة لديه فمع هزة الأرجوحة وأزن لغته بها ، فجاء بها موزونة وإن زاد متحرّكا في بداية الوزن :

تعالى نركب أرجوحة

وقد قارب وحدة الرّمّل حين قال :

لا تظنّوا أنّني أكتب قصّة امرأة .

وقد آستطاع أن يعزف لغة شاعريّة أفصحت عن إيقاع الحزن حين قال :

تتغيّر كلّ الأشياء

النّور سراب .. الدّرب عذاب

وجهك داسته الأقدام .. حملته الأيدي المجنونة

وهكذا تلاحت لغته موظّفا إياها مكثّفا دلالاتها شاعرا بايقاعها ولم ينس في

حدود هذه اللغة أن يملك أمر التعبير بالصورة فيها وصورة تمثل مزجا بين التراث والمعاصرة ففي "اللبل والحلم" يقول : " انتفضت كعصفور بلّله القطر " .
وصورة التشبيه بدأت تراثية لكن الكاتب ردها إلى المعاصرة حين تابعها قائلا : " أنتابتها موجة من رفض لا شعوري " ... وتأتي مزاجية الصورة من خلال التقاء التراث بجدة المعاصرة حين يقول : " أه من رسائلك .. تذهب بطيئة كعصفور يعبر المحيط " .

فالتشبيه جاء مكتمل الأركان من مشبه ومشبه به وأداة ووجه شبه، لكن الإحساس بالبط، ظهر جديدا في عبور العصفور للمحيط، وهو عبور لمحيط لا نهائي يقفز إلى مراد الكاتب والقارئ . إنه عبور بلا أمل يموت العصفور أننا " .

ومن ألف الصورة التراثية قوله " وقف مشدوها ينظر إلى القمر المكتمل في كبد السماء " فكبد السماء، وكبد الحقيقة من ألف تراث يوازيه أيضا قوله في "اللبل والحلم" : " بدأ يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في السماء " وهو تعبير إسلامي عن بزوغ الفجر . ولعل أرتكاز الكاتب في الصورة على الماضي أحيانا مرجعه أن الماضي لديه حقيقة واعية بينما الحاضر عتمة وظلام والمستقبل أمل مجهول ومن ثم كان أرتداد الصورة إلى الماضي أرتدادا لهما يسوغه فكم كان يرتد بألة زمنه إلى الوراء قائلا :
<http://Archivebeta.Sakhsy.com>

"مازلت أواصل السير .. شعرت ببرودة أطرافي . أتاني المتنبئ صافحي والمعتصم جاء . شد أزرعي والمعتز بالله هنأني " هارون الرشيد ابتسم لي " .

صور تنامي ، ولغة تقوم بوظيفتها الفنية ، وصراع درامي تتأزر فيه علاقات الحلم والمدينة والزمان والمكان والرمز وكلها تنساب دالة على عطاء كاتب واضح الملايح والسمات ورغم هدوء نفسه والحجل المستكن وراء العينين بدأ نافذ البصيرة يملك عزيمه حاولت قدر طاقتها أن تصارع العالم المعاصر يدفعها إلى ذلك حلم متسرّب في الأعماق يطلب من المستقبل ما يريد .

* كاتب المقال أستاذ بجامعة القاهرة ، ومعار حاليا بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان .
* مجموعة "الرّحيل عن مدن الهزائم " صدرت في طبعتها الأولى عام 1993 وطبعتها الثانية التي أعتمد عليها هذا المقال هي الصادرة عن "وكالة الصحافة العربيّة" بالقاهرة عام 1999 .

ثلاثية الوجد والعشق والرحيل

في المجموعة الشعرية « آخر الأغنيات على موانئ الرحيل » للشاعر الهادي العثماني

بقلم : زينب بن مسعود

إن الخطاب الشعري في « آخر الأغنيات على موانئ الرحيل » للشاعر الهادي

آخر الأغنيات على موانئ الرحيل



مجموعة

العثماني . يرتكز على
تركيبية ثلاثية: الوجد /
العشق / الرحيل .
ولأن الشاعر يعرف
وحده لحظة المعاناة ، بل
قل وحده يعيش
المخاض العسير في
اللحظة الهائلة الفاصلة
بين الصمت والبوح ،
والتي تتحول فيها
العبارة من مجرد كلمة
عادية إلى نسج
متناسق ومتناسق
يسمى الشعر ، فإنه
بذلك يتميز عن سائر
الناس في تعاملهم مع

ما يحسون به في الداخل ليكون البوح لديه عملية إضاءة تتفجر فيها الأحاسيس
لتظهر من داخله شرارات تخبر بالحريق وتشوي بهول ما يحدث هنالك في الوجدان /

الأعماق ، وما يحدث بين الدّاخل وبين اللّسان الّذي يحاول أن يترجم لضمان التّواصل بين الشّاعر والقارئ وهذه اللّحظة بالذّات هي مرحلة المخاض الّذي يتوّج بالولادة لإخراج كائن نابض أسمه القصيد ، وللشّاعر وحده أن يعرف كيف يتفادى خطر الإجهاض . وهكذا فإنّ لكلّ عمل إبداعي مرحلتين يمرّ بهما تفضيان إلى مرحلة ثالثة :

1 - مرحلة خفيّة أساسيّة :هي مرحلة النّشوء والتّكوين داخل ذات المبدع وفي مناخات وطقوس خاصّة به ، تحكمها أسباب ودواع وحوافز .

2- مرحلة ثانية بين يدي القارئ تنتج ملامحها بالضرورة عن طبيعة المرحلة الأولى.

3 - مرحلة ثالثة وتتمثّل في مدى إقبال القارئ أو السّامع على تلقّي الأثر / أي النصّ ومدى قبوله ومظاهر تعامله معه ، وهنا ينتهي دور المنتج / الشّاعر ، ليتولّى القارئ مسؤوليّة تأمين هذا الشّوط الأخير .

ولكنّ الصّورة الشعريّة الصّادقة تكون موحية ومعبرة ، بقدر ما تحملك على أسباب مصادرها ، ومظاهرها ومؤثراتها ، حتّى تكتسب شرعيّة التأثير عليك وشدّة الإلتباه المطلوب للبحث في ما وراء ما قيل من هذا الكلام «المطرز» الّذي يسمّونه «الشّعر» من أنفعالات وتفاعلات حين يصاب الشّاعر بالحالة الشعريّة المؤسّسة للقصيدة . هاهنا يقف الحدّ الفاصل بين الكلام العاديّ والشّعر ، وبين الإنسان العاديّ والشّاعر . ونحن نبحث في أغوار الشّاعر ومنافذ وحيه ، لا بدّ لنا من تأشير الإرتياد المناطق المحصورة بغية الإطّلاع على ما يوجد في الضّفّة الأخرى ، تأشير نبحث عنها عادة عند الشّاعر نفسه من خلال آستجابات دأب عليها المهتمّون بالأدب من خلال أسئلة موجّهة من نوع :

كيف تكتب ؟ لماذا تكتب ؟ متى تكتب ؟ لمن تكتب ؟

هذه بعض أسئلة نوجّهها إلى الشّاعر في محاولة منّا لفهم ما يخرج ، ولكن الشّاعر نفسه . في اعتقادي . غير مهية لأنّ يفينا بالحقيقة الكاملة والموضوعيّة/ الصّادقة حول ما يكتب ، لذلك فالأحرى بنا أن نتوجّه إلى النصّ الشعري ذاته لنحدّد داخله وخلفه ملامح خرائطه وسماته ومناخ القصيد وتضاريسه ، فقط من خلال البلاغات الشعريّة المبثوثة لنا ...

على هذا الأساس تناولت المجموعة الشعريّة موضوع الحال وتعاملت معها

محاولة في مقاربة أوليّة أن أوظف ما توقّره لي قراءة لها من رؤى وأراء ، وما تشير به الكلمة المعروضة على الواجهة الأماميّة لمحتوى الرّفوف الخفيّة في الخطاب الشعريّ المعروض في نصوص هذه المجموعة .

يتبادر إلى ذهن القارئ منذ الوهلة الأولى عند مواجهة العنوان : « آخر الأغنيات على موانئ الرّحيل » السّؤال التّالي :

كيف يغني الشّاعر آخر أغنياته في أولى مجموعة شعريّة تصدر له ؟ هل يعني ذلك أنّه سيصمّت بعدها ؟ ولكنّ منطقاً آخر يمكن أن يضيء لنا الغموض حين نذهب إلى أنّ الشّاعر قد بدأ من البداية فعلاً ، إذ هو ما يزال على الموانئ يستعدّ للرّحيل / الرّحيل الذي يمثّل مرحلة التحوّل في حياته من الصّمت إلى البوح ، ومن إنسان عاديّ إلى شاعر ، هذا الرّحيل الذي سيغني حتّى أثناءه وبعدّه . أغنيات أخرى ، نحن في انتظارها ، وقد وعد بها الشّاعر ضمناً لما أعلن أنّه آستوفى أغنيات ما قبل الرّحيل .

هكذا يبدو لي فهم العنوان من وجهة نظري الخاصّة ، وهذا ما توحى به صورة الغلاف : « سفينة مرفوعة الأشوع ، ولكنّ البحر قد آنحسر عنها فبقيت مغروسة في الرّمال في انتظار عبودة المدّ » . ويحانيها هذا الصّمت الغريب كأنّ نصفه آدمي ونصفه بحري ، توحى ملامحه بأنّه يغني في مناخ جافّ في عهد التصحّر الوجداني كما ذكر ذلك المقدّم للكتاب .

في هذه القصائد الشعريّة ينبنى النصّ في الغالب على الوجد / والعشق / والرّحيل / فالشّاعر موجد لأنّه عاشق ، وهو عاشق موجد لأنّ عشقه كان حارقاً جارحاً / معذباً ، ممّا جعله يقرّر الرّحيل .

والرّحيل من خلال قصائده يحدث في ذاته ولذاته ، ويحدث في عمق الشّعور بالعباد والحزن حين لا يمنحه واقعه وظروفه الشخصيّة والإطار الاجتماعيّ والأسباب والقدر ، كلّها لا تمنحه فرصة لتتويج الحبّ بالسّعادة فيبقى عند مستوى أوجاع التّجربة ، وحينئذ يلتجئ إلى الرّحيل . إنّهُ رحيل في المكان والزّمان ، ورحيل في الدّاخل المعتمّ ، ورحيل من الدّاخل القاتم إلى الخارج المضي . هو رحيل بين الحلم والواقع من ناحية والإتكاء إلى مستندات جغرافيّة من ناحية أخرى : البیداء ،

الجنوب ، الجبال ، المدينة (الأرضة ، سوارغ) البحار ، المرافئ ، الواحة : أماكن تربط بينها الأسباب وتصل بينها الدُروب التي يرتادها الشاعر . وهذه الكلمات الدالة على مواقع وأماكن كثيرا ما تردت في نصوص الشاعر . وهو رحيل في الزمان يوحي به استعمال المصطلحات الدالة على الوقت ليكون الرحيل بين الماضي والحاضر والمستقبل تفصح عنه الصيغ الزمنية للأفعال المستعملة من خلال أدوات تصريفها ، ويتبلور هذا المفهوم أكثر من تنزّل القصائد في محطات ثلاث هي :

- الذكرى العائدة إلى الماضي في الحديث عن الطفولة والشباب .

- وصف الحاضر باستعمال الفعل المضارع .

- الإخبار عن المستقبل بتوظيف الأدوات المحققة لذلك :

ـ + فعل / سوف + فعل - غدا - فعل الأمر .

يقول في قصيدة « هواك الرّهان الأخير » ص 67 .

... لملمت شتاتي — فعل ماضي

... يحاصرني الشوق — فعل مضارع

... سأقطع كلّ الوشائج — المستقبل

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هكذا تبرز الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل في نفس القصيد لرسم خطّ الرحلة عبر الزمن ، ولكنه في موضع آخر ينطلق من الحاضر عائداً إلى الماضي ومنه إلى المستقبل ليؤكد أنّ اللحظة الراهنة هي الباعث على التحرك عكسا وأطرادا : يقول في قصيدة « أغنية للجراح القديمة ص 28 .

أحبك ... شيبَ الحريق سأقتل فيّ من الحزن أكثر ...

الإنطلاق من اللحظة الراهنة العودة إلى الماضي المستقبل المأمول - والتهنيء له

في هذه الصورة يجعل الشاعر الحاضر مرتكزا وينبني لتحديد ما تعرّض له في الماضي ليخبرنا باستعداده للدخول في المستقبل يمهد له بتخطيط قبلي لتحقيق الانتصار ويستنجد بالمأمول لمحو آثار الماضي / الألم ، ليعلم أنّه سيكون قويا رغم

أثار الجراح القديمة ويعدّ نفسه أن يكون الغد ثأراً للماضي وهذا ما يؤكد قوله :

غدا حين يطلع نور الصّباح — أنتظار

وتبتسم في الحقول الأفاحي — تفاؤل

سأقصد حقلّي فأسقي كرومه — الإصرار على ترميم الذات

سأكنتم عند الرّحيل صياحي — شجاعة / إصرار وتحديّ على تجاوز الضّعف .

ثنائية الصّمت والبوح في النصّ الشعري :

يقوم ميلاد القصيدة في هذه المجموعة على ثنائية الصّمت والبوح حيث تتحوّل

العلاقة بين المفهومين من التّعاكس إلى الإنعكاس فالصّمت مرآة تحمل صورة البوح ،

في الصّمت يتشكّل « نغم » القصيد وتنبجس البذور وتتفاعل الأحاسيس توحى بما

يعيشه الشّاعر أثناء الوقوف على معالنه الداخليّة لما يحيلنا إلى مناطق الذكري

غير أنّ هذا الصّمت لا يلبث أن ينفجر في صهيل القصائد ، طقوسا وصلوات وأنيانا

، وشكوى المتناع تبيع أنسراب الفكرة وأنزياحها حتّى تطفو على سطح المشاعر

إفصاحا بعد أن كانت راسية في الأعماق مادة للألم والحزن الصّامت .

ها هنا تتداخل الرّؤيا الذاتية (الشخصية والرّؤيا النموذجيّة لهذا الواقع الحياتي

حيث تتكامل الصّورة في مواءمة الوجع المعاني الذي يكون أول مرتكزات الصّورة

الشعرية عند هذا الشّاعر الذي يتقبّأ ظله فيحترق للوجع إذا مساحة هامة في مدار

القصائد يعلن عن حضوره القاموس اللّغوي المستعمل بكثافة سواء بتوظيف

اللفظة ذاتها (الألم - الوجع) أو بمشتقاتها (تألّمت / أنوجّع) أو بمرادفاتها أو ما

يوحي بها مثل (العنا - الأسى - الضنى) أو بذكر أسبابها (الجراح - الهجر - العربة -

الوحدة) أو بنتائجها (الحزن - الكآبة - البكاء - الأنين) .

فالآلام والأوجاع تكون في الغالب منبعاً للقصيد : « لا بدّ من ألم لأدخل في القصيد

ص 81 / لا أجيد الفرغ ص 56 » .

في « آخر الأغنيات على موانئ الرّحيل » يبدو الهادي العشمانى شاعرا عاشقا

رومنسيّاً غنّاء وهو الذي يرمحل سندبادا وحيدا تقذف به المواجه في دروب السّفر ،

ووحده يظلمّ ينزف ألما ، يتكئ إلى الأنثى فتخذه ويرتدي الحزن ليؤسّس داخله

كلاما مبرّحا يسمّى شعرا يمتطيه الشّاعر لسلوك هذا السّبيل القلق في

رحلة العذابات الحارقة . وتبقى لهذا الرجل كبرياءه التي لا يتنازل عنها حتى مع
 «إلهاء» نفسها التي تطل من خلف جل قصائده وقد أهدى إليها باكورة إنتاجه وهو
 رغم إحساسه المرهف بالمرأة وأعتبار الأنثى مصدر الإلهاء فإنه لا يطلق لنفسه العنان
 للتوغل في حبها حد الذوبان ، ولا يتواطأ في احتراف العشق بل إنه يلجم شهواته
 ويكبح جماحه حرصاً على كبريائه وتأكيداً لأنايته الرجل المعتز بجنسه المتغطرس تجاه
 الأنثى ...

يقول في قصيدته « نصيحة / ص 60 :

توغلت في العشق ...

عد يا فتى .

لا تسافر بعيداً

يضئك الدرب قبل المساء .

ويأكل خطاك الغريبة قبل الوصول ...

وبالرغم من كل ما بيديه الشاعر من حذر تجاه الأنثى فإنه يحتفي أحياناً
 ويجعل منها متكاً مريحاً في الحلم واليقظة .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يجدل الحلم في عطر ضفائرها

بشهي أن يلود بها

في اشتعال الحنين

يبنى لها خيمة العشق والأمنيات

على ربوة الوجد ،

في موسم العاشقين

ويرسم دربا لها في القصيد

بعطر جديد ،

بضمخه الورد والياسمين ص 72

هكذا يحتفل الشاعر العثماني بأرهاصات مشاعره في مدار الأنثى والحرز
 والسفر حيث يتحوّل الإرتحال إلى هاجس تطبع بصماته في مختلف القصائد ، فإذا

الشاعر بدفع بنفسه بين الدروب سندبادا مرّحلا لا بقرّ له قرار ، يحضن غريته
الموجة ، يللم شتاته والشظايا ويضرب في المناهات باحثا عن ذاته المتناثرة .

ولعلّ هذا الحديث عن السّفر والرحيل يفشي منذ البداية حالة القلق والحيرة التي
يعيشها هذا « الرّجل الطّفل » الذي يحلو له أحيانا أن يشكّل البناء اللّغوي على
مقياسه ليجعل النصّ أقرب إلى الرّثاء الذّاتي في أغان حسيمة يوقّع أحيانها على
وتر موتور بكاد ينقطع لفرط ما يضرب عليه من نعم حزين (قصيدة : طقوس النّاي
والنّار) نموذجا ...

على قاب قوسين من أمنيّاتي
يموت الرّجا ،

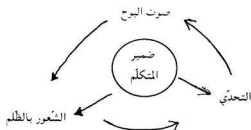
فلا يبقى غير صدى الذّكريات
يردّده الشّوق بين الدّروب

وحزن الغروب / ونوح العصفير ترثي الشّجر ص 74

إنّ الغنائيّة الواضحة في النّصوص الشعريّة لا تقف عند مجرّد التّشاؤم وإعلان
الحزن ، ولكنها تتجاوز ذلك التصريح بنوع الألم والمعاناة التي استهدفها الشاعر ،
والتي ولدت منه شاعرا ينهض بلاغه الشعري على الإدلاء بالتّجربة التي تؤكّد
صدق القصائد وأصالة هذا الحزن في ما يشبه النبوة التي يقترب منها الشّعراء دون
غيرهم من عامّة النّاس لأنّهم وحدهم يشكّلون حاسة سادسة ، ووحدهم يتبهيون في
مساحات غامضة ليعيشوا طقوس الجنون الشعري حين هم يطلّون على مهاور رهيبة
يتشكّلون حيالها إلى مخلوقات هي مزيج من الشّياطين والملائكة ليتجاوزوا الحدّ
المعهود من الرّؤى والتّجارب والمراسم والتّعاليم الرّوحيّة الغامضة المشرعة على
دهاليز العناء المفروض .

وتتخذ أغلب القصائد صبغة سرديّة مقدّمها استعمال مكثّف لحرف العطف
«و» للرّبط بين الأفعال خاصّة وبحقّقه الإستعمال السّردي للضمائر حسب التّرتيب
التّالي :

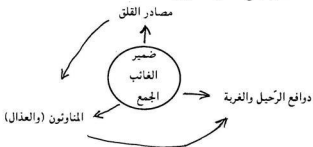
1 - ضمير المتكلّم فاعلا أو مفعولا به : (الأكثر استعمالا) .



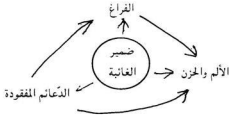
2 - ضمير الأنتى المفردة (مخاطبة أو غائبة) :



3 - ضمير الجمع الغائب (الآخرون):



4 - ضمير الغائبة المفردة (الفراق) :



هكذا تتشكل المجموعة الشعرية « آخر الأغنيات على موانئ الرّحيل » في ثلاثيّة الوجد والعشق والرّحيل وتبرز قصيدة « إلى أين أمضي ؟ » ص 58 نموذجاً ممثلاً لذلك .

مقاطع مجسّمة

الوجد	العشق	الرّحيل
فألقى عناء النوى	على ضفّة العشق	سافرت في الحزن
ووقع العذاب	ينبت شوقي	أضرب فيه عصا الرّحيل
جراحي تننّ	ببوح الغرام	وكان الرّحيل

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الحاققة : الشّاعر الهادي العشمانى ، من الأصوات الشعرية الجديدة تحتلّ مكانها في السّاحة الشعرية بكلّ هدوء بعيداً عن التّهريج والغوغائية : شاعر جيّد النصّ ، متين التعبير ، مغرق في الرومانسيّة ، قصائده نازفة الجراح ونصوصه مطبوعة بعمق المشاعر وصدقها . إنّها قصائد تتميز بحرارة أنطولوجيّة تؤكّد صدق صاحبها وأصالة تجربته . إنّهُ شاعر مفتون قلق ، حائر ، حزين ، وهو يغني لإلهام الحاضرة الغائبة هذه (الحقيقة الوهم التي كلّما طلقها آعتنقها من جديد) .

* هذه المجموعة صدرت عن دار نقوش عربيّة في 100 ص خلال نهاية ربيع 1998

الفنان التشكيلي

علي البرقاوي

الضوء الممتلئ بالبهجة ..

والظل الذي تشتاقه النفوس من حرّ الهاجرة ..

بقلم : الأجمد عطاء الله

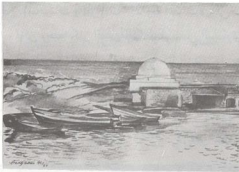
جميل جداً أن يشبّه الشعراء العيون الجميلة بالبحر وموجه وكلّ
آرتمامات المدّ والجزر فيه ، هكذا تحملنا القصائد هنا وهناك لتشكّل في
مخيّلنا أجنحة نحلّق بها فنجتاز حتميّة الزمان والمكان .. فيبقى الشعر
تاج الفنون .. وكذلك هم الرّسامون بحسّ مرهف ولون يناجي .. الآخر ،
يشكّلون بلون الأرض والجسد والنبات أعمالاً في منتهى الرّوعة ..
نقف أمامها فنسبح إلى ميستافيزيقيا العالم المادّي .. ، حيث تجنّع
المخيّلة وتنشرح الصّدور إلى مكان أرحب ورائحة الذكريات الطيّبة ..
وحيث تصبح الرّؤية للأشياء أعمق وأكثر جماليّة ، فالفنّ كما قال
أحد الفلاسفة : « ليس رسم الشّيء الجميل إنّما هو الرّسم الجميل
للشّيء » .

نحن في إحدى المدن السّاحليّة بتونس ، مدينة المحرس حيث يقام
المهرجان الدّولي .. للفنون التشكيليّة في الأسبوعين الأخيرين من شهر
جويلية (آب) والأوّل من شهر أوت (أيلول) من كلّ سنة .. ولأوّل مرّة
أجتاز شارعاً رئيسيّاً لإحدى المدن التّونسيّة فلا أجده مكتظّاً بالنّاس بل

يعجّ بالمتحونات واللّوحات الجداريّة المترامية على شاطئ البحر هنا وهناك ... لكن وحيدا كان الفنّان التشكيلي علي البرقاوي ، ينجز عملا جداريّاً بعنوان عروس المحرس . كان يتابع كلّ التفاصيل بدقّة غير مبال بشمس تلك الظهيرة ، فجمعت العروس بصدق إحساسه عناصر الحياة الأربعة الماء . الهواء . الأرض والنّار ... فكانت العلاقة بين جمال العيون والبحر حاضرة تشرب لها الأعناق وتندهش أمامها الأبصار ...



علي البرقاوي : رسّام تونسيّ من مواليد 1959 كانت بدايته الفنيّة كمهوب وعاشق العالم الفنون الجميلة وفي سنة 1975 إلتحق بالمعهد العالي للفنون الجميلة بباريس وبعدمضيّ عشر سنوات من الدّراسة الأكاديميّة عاد للوطن الأم تونس ، ومنذها سجّلت له العديد من المعارض نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر : معرض ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربيّة بقاعة صوفونيّا بقرطاج سنة 1990 . كما أحرز



المنستير

للفنان ، علي البرقاوي



عروس المحرس

للفنان ، علي البرقاوي



السوق الأسبوعية

للفنان ، علي البرقاوي

الجائزة الكبرى والمتسلسلة في الفلك الذهبي بالمهرجان الدولي للفنون التشكيلية بالمحرس سنة 1998 وفي آخر معارضه كانت له جولة حقيقية مع الأوصالة في كل من دور الشباب بالمنستير، صفاقس ، سوسة، بنزرت .. لما مثلته أعماله من إهتمام بالتراث وكل ما يعرف بالهوية التونسية .

الإتحاف ، إلتقت الفنان علي البرقاوي بمدينة المحرس في عرسها السنوي للفنون التشكيلية ، كان فنانا متواضعا ممتلنا بالحياة وعشقه لتونس ...

- سألتاه عن الكسب من وراء دراسته بفرنسا وعن مدارس الغرب الفنية ومدى تأثيرها في نفسه وريشته فكانت إجابته : في فرنسا كنت طالبا تونسيا وريشتي وألواني بقيا كذلك واليوم في بلدي لا يستهويني في أعمالتي غير رائحة المدينة العربي وأسواقها التقليدية ونسائها السافرات ...

فالمدينة العربي .. هي صورة الطفولة العالقة أبدا لا تحوها الغربة ولا السنين الممزوجة بالتعب ، وزوارق الشاطئ الصغيرة ليست إلا قلادة المنستير الحاضرة في كل عصر أما عن عشقي للمنستير فليس إلا حبي الكبير لكل تونس .

هكذا كان ضيف الإتحاف علي البرقاوي فنانا تونسي الهوية تمتلئ أعماله بالضوء الممتلئ ببهجة صباحات تونس وبالظل الذي تشتاقه النفوس من حرّ الهاجرة عماد إبداعاته ألوان البهجة والفرح وتدرجات الحلم نحو الأمل القادم : الأزرق ، الأبيض ، والأحمر تلك هي ألوان البحر المتوسط هي تدرجات الضوء في مدن تونس وأزقة المدينة العربي ولون الميدعة بالمدرسة والحرام الذي ترتديه الجدة ...

عامر بوترة

شعر : عبد السلام لصيلع



موحش بعدك
هذا الطريق
يا رفيق .
موحشة دهايز القلب
ليلها مخيف ..
أحترقت مرايا الأحبة
يا صديق ،
لأنك لست هنا
ولأن الشعر حزين
صيفه شتاء
وربيع خريف .
راح الذي نجبه
راح الذين أحبهم ..
والذين بقوا لا أعرفهم
ذهبت
وذهب الذين هجوتهم
أو شأ.. كستهم
أو مدحتهم .
بكل لغات الكون

أطرز لك عنقود محبة .
من كل حروفك
وحروفي
ودمي
وروحي ،
يأتيك الحن
من العشق والتعب ..
يا طيب الناس
ويا سيدهم ..
يا سيد الثوآر
يا سيدنا
يا سيد الغضب .
الذين لا يحبوننا
نعرفهم فردا فردا ..
ومن نافقوك
تحاصرهم أنت ،
يحاصرهم منفي روحك
تصفعهم
وتمضي .
أنا غريب مثلك
يا صاحبي .
دمرنا المندسّون
في دماء الشجر ..



لكننا وقوفا نموت

ودائما نمشي

ونستمر .

مازلت أراك كفاحا

وجبا

وحرية ..

أراك تحبنا جميعا

تجود علينا بقهوتك

وبكرم بدوي

وبآخر دينار في جيبك

وتتصدى للردة

وتجّار الوطنية .

مات الطيبون ،

وآسراحوا ..

أصبحت خائفا

من صوتي

ومن وجهي

وظلي ..

طوبى لي

ولصبري

يا عيونا تقهرني

وتقتلني .

إلاهي لم يبق متسع

من عمري ،
أعدني إليك
والتي
أعد إلي فرحي
أعد إلي أمي
وأحبتتي
أعدني إلى حروفي وذاتي ،
قبل أن أصفح موتي
وتذوب حياتي .
هذه الدنيا
ضحية وجلاد ..
يعمر فيها منافق
أو كاذب
أو لص
أو قواد .
أما الذي يموت باكرا
فعاشق
وكاتب ..
أو ثائر ..
أو صحفي
وشاعر .
فهل عرفتم

كيف مات « عامر » ؟!

تونس : جانفي / فيفري 1999

لبغداد ألف سلام



شعر : محمود غانمي

الإهداء : إلى الشعب العراقي
الصّامد...شامخا في كلّ الأزمنة،
حتى تضمد بغداد جراحها إلى الأبد ...!

لِبَابِلْ أَلْفْ سَلَامْ
مِنَ الْقَلْبِ عِبْرَ الْقَصِيدِ
وَلِلْعَانِدِينَ مِنَ السَّبِي فِي آخِرِ الْقَرْنِ
أَلْفْ أَنْهَزَامْ.

لِمَاذَا تَظُنُّونَ أَنَّ السَّلَامَ لِكُلِّ الْبَشَرِ
وَبَعْضُ الْبَشَرِ يَرِيدُونَ إِفْنَاءَ كُلِّ الْبَشَرِ
وَبَغْدَادُ كَالرَّئِمِ قَدْ أَثْنَحْتَهَا الْجِرَاحُ
بِأَمْرِ مِنَ السَّامِرِيِّ
وَمَرَأَى مِنَ اللَّهِ وَالْخُلَفَاءِ
وَنَسْلَ الرَّسُولِ وَآلِ عَمْرٍ
وَعُغْلَةً بَاقِي الْعَرَبِ ؟
وَلَكِنْ بِرَغْمِ الْجِرَاحِ

سيبقى العراق منيعا أنوفا كهام النّخيل .
 كنسر تعالى على النّخل فوق القمم
 لأنّ الفرات نزال لبعض الأساطير
 كي لا يموت العراق .
 ودجلة مثل الدّماء يفور
 لمنع عبور المغول
 على جسر تلك الدّواوين والشّعـر
 نحو المساجد أو نحو قبر المسيح
 وسوف تعود لنخل الخليج .
 نسور البلاد التي شرّذوها بقصف المدافع
 ويفتح بشّار عينيه كي لا تقرّ النّساء
 أمام البصير بغير غزل
 ويمشي النّواصي في الكرخ
 نحو الكروم
 لتقطير بعض الخمر بكأس القصيد
 ويفتح هارون باب الخورنق
 للمادحين من الشّعراء
 وينثر بعض الجواهر في حجر كلّ الجوّاري .
 وعند المساء ، قبيل الغروب
 تقام عكاظ
 بنزل الرّشيد

بظِلِّ النّخيل

بكلِّ البلاد .

لأنّ فناء القصيد من المستحيل

سيأتي الغزاة كما كان يأتي النحاة

لتشريح بعض الكلام ،

ولكن لتزوير بعض المعاني

وتدليس بعض القيم

وتدليس بعض الصّور

وتهريب بعض العقول

لأنّ الرّصاص الذي أطلقوه

يصيب جريد النّخيل

وتبقى الجذور لسقي القصيد .

ستبقى البلاد كما لا يحبّ الأعادي

نخيلاً طويلاً وظلاً ظليلاً

وحلماً جميلاً .



أهزوجة للوطن

شعر : مختار المومني

إلى أم الجميع .. تونس الحبّ

تهلّ عليك البشائر

فيصفو الزّمان

وتعلو الزّغاريد

هنا يا بلادي

في كلّ شبر لنا مهرجان

ودنيا من الحبّ

والمعجزات

هنا جنّة تشدو والتّوافير فيها

فتزهو الحقول

ويساقط اللّوز

والتّمّر

والعطر

والنّور

وينمو على ربوة القلب نجم

يشعّ على الكون أنسا

وأمنسا .



أَطْلُعْ عَلَيَّ شُرْفَتِي لِلذُّهُولِ

شعر: الهادي العثماني

إِذَا مَا عَشِشْتُ ،
أَمَادِنُ حُزْنِي
وَأَمَدَحُهُ رَايَةً لِلرَّحِيلِ
أَتَقِي مَنِّي مَوَائِدَ قُرْحِي
وَأَفْتَحُ بَابَ الْعُرْسِ الْفُضُولِ ...
وَذِي أَغْنِيَا بَنِي
تَرْفِيرُ حَوْلِ حَرِيرِ الْأَمَانِي
وَتَعْرِفُ شَذَّ وَالْخَلَاءِ فِي الْجَمِيلِ ...
وَحِينِ أَحَبْتُ
أَرَى أَتَنِي عِنْدَ لَيْبٍ سَعِيدٍ
يُعَرِّدُ بَيْنَ هَسِيسِ النَّخِيلِ
وَأَتَنِي طَيْرَ الْهَامِ يُعَنِّي

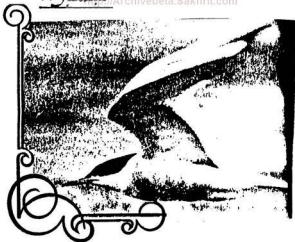
فِي سَكْرِ رِيحِ الشَّدَى بِالْهَدِ يَلِ
أَرَى أَتَيْتَنِي نَوَازِسُ مَوَاحِشُ
سَوَاحِلُ بَحْرِ يَهْدِ السَّيْلِ
أَرَى أَتَيْتَنِي غَيْمَةٌ مِنْ سَحَابِ
تَجُودِ الرُّبُوعِ بَغِيثِ مَقْصُولِ
وَأَتَيْتَنِي الْيَنَابِيعُ لَمَّا تَسِيلُ
تُرْوِي الرِّيَّاحِينَ بَيْنَ الشُّهُولِ ...
مَنَاحِمَ مَرَّةٍ مِنْ نَبِيذِ الْكُرُومِ
وَرُوحٌ تَسْرُبُ فِي بَقَايَا الْهَشِيمِ
وَرَجْعُ الصَّدَى مِنْ صِهِيلِ الْخِيُولِ ...
إِذَا مَا عَشِيقَتُ،

تَسَأَلْتُ مَنْ حَزَنِي كَيْفَ أَسْتَقِيلُ
لَا دَخَلَ فِي بَهْجَةٍ، كَالسَّكَارَى
فَأَرْقَى سِرِّي عَادَ رَى الْمُسْتَحِيلِ

رَمُّهُمْ أَلَسِ شَقُونَ
 يُصَلُّونَ لَيْلًا
 وَبَشِدُونَ لُحْنًا لَيْلًا
 يُطْلَعُونَ قَبْلَ أَنْ يَجِيسَ الصَّبَاحُ
 عَلَى شَاطِئَيْنِ
 لَمْ يَكُنْ شُرْفَةٌ مِنْ وَفَاءِ الْقُلُوبِ
 مُعَلَّقَةٌ فَوْقَ بَرْجِ الدُّمُورِ

سبتمبر ٩٩

Archivebeta.Sakhril.com



* حَبَائِبُ لِسَانِ الْعَرَفَةِ *

الآن ... العالمُ شَتَوَى
وَأَمْسَتْ عَلَى
صَهْوَةِ الشَّقَاةِ
الآن ... يَكْتَوِي الْقَلْبُ
بِعَصِيرِ الزَّنْبَقَةِ



مَدْفُوعَةُ الْبَيْتِ
يَا ... حَبِيبَتِي تَرْتَعِشُ
وَتُطْبِئُ الْمَدَامَةَ
رَسَامُ فَنِّ الزَّجْرِ الْمَشْقُوقِ

هَذِهِ اللَّيْلَةُ
سَيَاغْتَسِلُ بِسَيَاحِضِ الْقَمَرِ
وَأَسْرِجُ مِنْ شِعَاكِ الْبَحْمَاتِ
فَضَلَّتْ شَوْقِي وَحَيْنِي
هَذِهِ اللَّيْلَةُ

سَيَتَطْعَمُنِي حَبِيبَتِي ...
... قَبْلَةَ

وَفَنَاتٍ مِنْ أَكْثَاوَى

نَاغِزُقُ عَاشِقًا

عَلَى سَبَابِسِ الشَّقَاةِ



الآن ...
يا سبت دتني
أجمع شتات الدهشة
وأدخل
بوابه الصبح الجديد



الآن ...
سنام وهنني
على جلد الشيتاء
تدثريني، جيبتي
بحرير الكلام
سروا توبت
سحر لطفها

ARCHIV
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الآن ... فقط
دقت الساعة الصفر
... صام اللسان
ودبت في شراييننا
جفون الهيام

★ شعر: جمال باباي
- ترجمة -

دسمبر 31 '98 - 1 جانفي 1999 .

حديث السقيفة

شعر : نفيسة التريكي

سألتها صديقتها بهمس

متى رأيت ظلك ؟

أمهلت تنهيدتها

مالت في أذنها

آخر مرة كان هفهافا نسائم صيفية

في ألوان ناصعة شمسية

نسيج زهور برية

وما قبلها داكنا ، دافئا في ثياب صوفية

أنفاسه شتوية ، طيبها نباتات غابية

مواعيد لقاءاتنا فصلية

صاغت صديقتها حيرتها

لماذا يغيب عنك خلك ؟

أجابت ذابلة الجفنين

هل يعيش الدمع بلا عينين ؟

الكون بلا قطبين ؟

الروح بلا ضفتين

ضفة للماء وأخرى للمضياء ؟



الهدهد والعرش

شعر : عماد الحاج حسن الحلبي
العراق

من سكرة عين
أراني أدخل صرحا "مردا" من ماء ودخان
على بوابته يقف (وسناس) * عاريا
يتمعطف شعره الطويل
على عينيه وقعت عيني
ضحك ...



<http://Archivebeta.Sakhrit.com> ... أدهشني

حين سمعته يخاطبني
قال لي :

أبرز بطاقة دعوتك
هنا حفل خاص ..
غافلته ...

انتزعت عيني بيدي
طوكت ذراعي عبر الباب
وسط القصر هناك ...

* (وسناس) : خلق قبل الإنسان .

كان عرش بلقيس
 ببادق (شطرنج) ذهبيّة
 وأخرى كانت فضيّة
 قامات الجند غارقة
 حدّ حزام (أخضر)
 مابين الأطراف السفلى
 والأطراف العليا كانتأجنحة
 مات بيدق ذهبيّ
 حزن جميع الصّرح ، وغاص بدموع (دخانيّة)
 عشر حصان فضّي
 مطر الصّرح لآلنا ورديّة
 جسدا (عار)
 نائمة على ريش ناعم
 حرير أحمر
 يقف على وركها الأيسر
 (طائر الدرداء) *
 ينظر بعيون فسفوريّة
 والعفريت الأرق يحمل (صهواة يدويّة)
 [رجعت بقايا المشهد إلى عينيّ ، ورعشة المفاجأة ، لم أنتبه إلى
 قوائمها الإثنتين ، كانتا قد غطّاهما شعر وبّري]
 نحو هلوسة الفضول كانت يداي تلامس شعرها
 * (طائر الدرداء .. منقرض) .

وسؤال تائه بين الحاجب والعين

فارتبك الطير

وأنا لا أعلم بعد أنى أتجه !

من بين الأوراق القديمة

تخرج ورقة ...

... تطير ،

طلسمة ،

أو جفرا ،

أو شيئا من هذا القبيل

كان رسما أو اسما

مختوما بالأسماء الخمسة ..

كان الخوف يخالطها ،

والهدهد أخبرني :

عن رجل قتل في هذا القصر

تحت الماء ، وفوق الماء صخور

والهدهد فاه يتفوه

عن سيّدة

تملك عرشا ..

وجنان شتى ..

وذكور ...

كان الهدهد (يرقب) سيّدة الصّرح



كيف تغفو ..
في أحضان المارد ..
وتحلم ..
بفارسها الأسود
أرادت تمثيل الدور ..
على البقطة
كأن يبحث عن فعل ..
أنوثتها ..
ولكن من يجراً أن يتكلم
إمّا أن
أو أغرق صرّحك في عين الهدهد
وإمّا أن تختاري ..
امهلني .. حتّى زوال الغد
والأ .. سيزول العرش ،
ويموت الجند
... بنيران الماء الماطر من عين الهدهد
فتغرق الأرض ..
وصرّحك ..
ويموت الفحل الأسود ..
بصرخة ديك .. يصرخ
«سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح » .

نشيد النهر السماوي

شعر : مازن المعموري
العراق

[إلى نهر الحلة المبارك]

ليمضي إلى حيث يشاء
فالمدينة تغفو فوق راحتيه
ليمضي ما طاب له أن يدرج أمواجه الصغيرة في الصباح
ليمضي حيث يشاء /
ما طاب له أن ينام على فخذي مدينتي
ليلثم أعواد الرمان
سحته السمراء
قطعة حلوى لطخها الأطفال بجسره القديم
أيهذا المدّ
ليس لمزاميرك شيخوخة
أصوات تنوء بحمل السواد
ورقعة شطرنج مبقعة بخسارات
ملوثة وبلورية
كان البرج في السماء
ونارك في أعلى الرؤوس
أيهذا الفناء
رقم يدي فوق أسلاك الإنتظار
دع هواك وارحل ..
* * *

المدن قبالتك!..

تتأرجح وأنت تصفف الهواء

تقود احتفالاتها إلى الركوع

أمام المرايا المباركة

وتصفيق يملأ الدنان بالخمير

ليبارك النهايات

بغناء أعرج

وصوت أعمى

امضي .. ولسوف أختصر المنفى

أسجل للسهول

مسامات حارة

بلون فاقع

ليمضي إلى حيث مملكتي

فالجدائل في الضفاف أحلام مبعثرة

وبين أضلاعي سدود متنزرة

لصيد الشطابا

ونعت الغياب بالموميا

* * *

كان لرذاذك رائحة الحمر

غسل الشموع

ومراد أمي بين فخذين عاريين

أوقدت رمادها

لترحل الأفعى من الشجرة

وتربض بين كتفيك يدي

كان لساقى خوذة

وأضلعي

هيكلك قارب محروق .



عبقريّة الإبداع

شعر : آمال سفضة

الملهم خليلي
قرطاس وقلم
كتاب ومعجم
فراش ووسادة
والصمت أكبر



وبين صحوة ومنام
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من أخاديد دهشتي
أدثر كثران بركاني
أضمخ أسارير كياني
وما آكتمل
خوفا أن يهرب بلطيف أناقلي
ويكشف غصتي
ويخل بدقات قلبي
أواه !
وكذا الزمان
يختل .

الأرواح تهاجر ليلاً !

بقلم : فاضل عباس يوسف
العراق

حملوني بكل رقة وهدوء ، من أطراف الفراش ، كان جسدي ثقيلًا ولم أستطع تحريك أطرافي . سمعت صوتًا مألوفًا يقول بحزن شديد "أنه يحتضر" ، شعرت بالإختناق وشلل تام في أوصالي ، هذه المرة لم أشعر بأي ألم ، وبشكل خاص الألم المدمر في معدتي الخاوية ، أنذاك فرحت وأدركت بأنني قد شفيت تمامًا . صعد الشلل إلى صدري توقفت رنتي عن الحركة ، لم يعد هناك هواء ، يمكنني أن أستشفه أو زفير أدفعه للخارج ، في بلعومي حريق وحشرجه خائفة كأن أنونا من نار يتدفق يحرق حنجرتي وتجويف فمي ، لا ألم في جسدي . أخشى الوجع الذي لازمني سنوات طويلة وأقعدني بعد أن كنت كالحصان الجامح ، صعدت إلى أعلى ، لأول مرة أطيّر بخفة هكذا ، تركت جسدي وأصطدمت بالسقف بقوة ، كأن الجاذبية تعمل بالمقلوب . حاولت أن أتشبث بأي شيء ، ولكن كل شيء كان هواء ، أو بالأحرى أدركت بعد لحظات بأنني هواء ، ما أن أمسك شيئًا حتى يذوب بين يدي وأبقى طائرا إلى الأبد ، توقفت في أحد الزوايا ، أنظر إلى أسفل ، كان جسدي مسجى بلا حراك ، شاحب الوجه ، بلا تعابير ،

صورة باهتة لإنسان كان أنا ، ولكنه نفس الوجه الذي أراه في المرأة كل يوم. صحت بأعلى صوتي : إنهض يا رجل ، تجمع الناس حولك ، أنظر لزوجتك المسكينة وأطفالك . ولكن كيف ينهض بدوني ؟ لا أستطيع النزول ، إنه حتما بحاجة لي .. إنه لا شيء بدوني .. إنه ميت . مرت التواريخ والأحداث والأرقام ، الضحك والبكاء سريعا ، خطايا وذنوب وحسنات لم أفعلمها أنا ، كان جسدي أقوى مني ، روّضني على كل شيء . كانت مائدة مخه تعمل ، يمتص كل طاقتي وقوتي ، كنت حبيسا في سجن جسده القوي ، ضربه يوما ، بل أياما ، تشقق جسده ، لم يتألم ولكني كنت أصرخ في داخله من الألم . كم مرة حاولت أن أفجر نفسي في داخله وأقتله وأتخلص من رائحته العفنة . كان بعض المرات ينظر للأشياء بمنظار غريب ، مريب وتقزز . أفكار رخيصة أرتجف منها في داخله ، حتى في أحلامه كان يستفزني .. أحلام أراقبها ولم أتمتع بها مثل أمنياته التي كنت أصفقها له في خزانة مخه ، ويرجع يدوس عليها وتذوب مثل البيض الفاسد تحت قدميه ، لم أنس السنوات الطويلة في شبابه ، كنت أستاذس بدفق الكلمات التي تهب علي وتنعشني في سجن الضيق . عندما أصبح أكثر نضوجا تحوّل إلى ثرثار ، ليل نهار . حتى عندما يكون وحيدا كنت أشاطره أفكاره وما يكتبه . آه ، هذه الأصابع التي لم تتحرك الآن ، هامة ، باردة كالثلج . كانت عنيفة لم تتوقّف عن الكتابة ، تشير غبار الطباشير الذي يتدفق من منخره ويسعل ، وأتشبّث به بقوة كي لا أسقط ، ثلاثون عاما على ذلك

المنوال ، وجاء دور السَّهر والتَّفكير والقلق والمعاناة ، وأنا أكابد كلَّ شيء ، وشاهدت معه أجيالا وآلاف الوجوه . هكذا تبدو أصابعه مَبْتَة ومتصلَّبة. نظرت إلى أطرافي ثم أعد أراها أو بالأحرى لم أر شيئا لحدّ الآن غير جسدي المسجّي وأطفالي يصرخون وزوجتي تزعق بآلم ونحيب مرّ ، تشير الشَّفقة. آه ، كم جميل أن يرى المرء الحبّ الحقيقيّ والوفاء هكذا بشكل خفيّ . لابدّ لها أن تنسى بمرور وفعل الزَّمن مثل الأخباريات ، ولكنني لا أعتقد ذلك .

نقلوا جثمانه في تابوت خشبيّ ، تعالت الصَّرخات . شعرت بالخوف والهلع ، هربت إلى داخل الدَّار ، وأنا أرتجف . أنقلوه حتّى لا يتعفَّن ؟ تذكرت مشهد رجل تعفَّن في شقَّتْه بعد ثلاثة أيَّام ، كان النَّاس يهربون إلى الجانب الآخر من الطَّريق يغطون أنوفهم بمناديلهم من الرُّائحة الكريهة التي انتشرت في الحيّ السَّكنيّ ، أدفَنوه وخلصوا العالَم من عفنه ، رحت أنتقل وحيدا من غرفة إلى أخرى ، لحدّ الآن لم يتغيَّر شيء . أني أراهم مهتمّين بجسدي ، نظرت من إحدى النّوافذ، تجمّع النَّاس ، جلس أحدهم عند باب داره غير مبال يدخُن . آه ، ناكر الجميل ، كم ساعدك جسدي في أحلك الظروف ؟ لاحظت جارتنا العجوز وهي تبكي بحرقة ، أثبتت حبّها له يوم كاد يحترق منزلها وهو يظفُّ النّار المتأجّجة في المطبخ . أنقذ الدَّار بأكمله ، فجأة هدا كلَّ شيء بعد أن تعالت صرخات النّسوة سوِيّة مودّعات الجنائز الملقاة على سقف السيّارة الصّغيرة . لم يتجرأ الصّغار على دخول الدَّار ،

راقبتهم من النافذة ، أشاهدهم يبكون ويتأوهون بألم حقيقي . لم أستطع الخروج ، حاولت أن أجد منفذا ولكن دون جدوى ، أخاف أشعة الشمس والضوء الباهر .

بدأ الظلام يزحف كثيفا داخل الدار . تحسست الوحدة والتعاسة لأول مرة بالرغم من حريتي المطلقة ، آفتقدته ، شع نور ساطع وسط القاعة ، هربت بعيدا ، يبدو أنني تعودت على ذلك الطيران الجميل والانتقال ، لذت بسقف الغرفة العليا خوف أن تراني أبنتي التي توشحت بالسواد ، أومأت لها ، تحركت ولكنها لم تعرني أي اهتمام ، صرخت ، لم تسمعني ، دخلت المطبخ وهي تنتحب ، نزلت بسرعة إلى القاعة ، وجدت الصغار مستقلقين على بطونهم ووجوههم . يا لهذا الهدوء الغريب . كل يوم يتشاجرون ويتصارعون ، يضحكون ويبكون ، مشيت بينهم وفوقهم أمسد شعورهم وأقبل خدودهم ، أحسست بالدمع ندبا فوقها . وبقيت طافحا فوقهم أتأملهم .

في اليوم التالي رجعت زوجتي متعبة ، تحمل هموم الدنيا . رغم التعب والجهد بقيت مستيقظة ، تغفو لحظة وتجلس ساعات طويلة تنتحب . أحمرت عيناها وذبلت وجنتاها ، آرتدت الملابس السود من الرأس إلى أخمص القدمين . وقفت أمامها ، أنظر إليها . أحاول أن ألمسها . مددت يدي أحاول أن أمسح دموعها ، ولكنها دموع غزيرة . حدثت نجاة بي ، نعم إنها تنظر لي ، وهربت بعيدا عنها ، سمعتها تقول : « أهكذا تتركني وأولادك صغار ! » وعلى الفور أجبتها : « أنا هنا ، لم أتركك ، تركك

جسدي ، ضقت ذرعاً به ، طال رقاده ومرضه . أنا الآن في أحسن حال ، لا تبكي » . وبكت بصوت عال أفزع الصغار . أحاطوا بها وشاركوها البكاء . يبدو أنهم في مأساة حقيقية ... إنها حقاً تحبني .. كلهم يحبونني .. أعرف ذلك ، ولكن لماذا لا يشعرون بي فأنا أحبهم أيضاً .

في المساء تألمت من كليتيها ، حملوها إلى المستشفى ولكنها لم ترجع ، رقدت هناك ، لم أستطع الخروج ، كان الدار فارغاً ومغلقة ، ذهب الجميع إلى المدرسة . وأنا أنتظر متيقظاً سمعت صوتاً غربياً عند باب السلم . أصخت السمع ، سمعت باب السلم يفتح . نظرت باستغراب كان أحد الصبية من الجيران يهبط السلالم بحذر إلى أسفل . عندما كان صغيراً أعطاه الجدّ سروالاً ليذهب به إلى المدرسة وكان يمس في يده بعض النقود . إنه الآن ناكر للجميل ، آقتربت منه بسرعة ، صرخت في وجهه . لم يروم يسمع . إنها مشكلة ، لا بد أن أمنعه من سرقة أي شيء . كان يقرأ لي الكثير من الحكايات والقصص ، وتذكرت بسرعة واحدة منها . أسرعرت إلى المطبخ ودخلت في كيس الدقيق . خرجت ، نظرت في المرأة وصرخت مرعوباً ، لأول مرة أرى شكلي ، كان جسدي أكثر تناسقاً ولكني أكثر نقاء وشفافية ، وكاد يغى عليّ ولكنني تشجعت وأنطلقت بسرعة أفتش عنه . وجدته يبحث في أحد الصناديق ، صرخت به ، لم يسمعني . وما أن رفع رأسه حتى تسمر في مكانه يرتجف ويتمتم « جني .. جني » وبدلاً من صعود السلم فتح الباب الرئيسي وهرب . يصرخ « جني .. جني » ،

وسقط وسط الطريق . تجمّع حوله الناس وهو يرتجف برعب .

عندما عاد الأولاد من المدرسة ، وجدوا الباب مفتوحا ، ورذاذ دقيق ينتشر على أرضية المطبخ ، صاح أصغرهم : « ماما .. ماما .. »
« وسأل أخاه « هل ماتت أمي ؟ » أجابه أخوه « أعوذ بالله مما تقول » قال آخر « لابد أن لصا دخل دارنا » وراحوا يفتشون هنا وهناك ، قال أكبرهم : « نعم ، أن لصا دخل دارنا ، ولكنه صغير ، انظروا هذا خفه » إنه استنتاج جيد . أعرف أنهم أذكيا ، فتشوا مرة أخرى . قالت البنت « ما هذا الدقيق المنتشر ، في المطبخ ؟ قال أحدهم « لابد أنها الفئران » ، استنتاج خاطئ هذه المرة .

رجعت زوجتي بعد أسبوع ، تنن وتتألم ، قالت لابنتها : « إنني تركت المستشفى لأموت هنا » . وضعوها في نفس المكان الذي واجهت أنا فيه القبلة . كانت تتلمس المكان وتقول « أنتظرني ، إنني قادمة إليك » بكّت وغفّت . تهذج صوتها وخرجت من جسدها . وما أن شاهدتني حتى صرخت بفرح : « جئتك يا حبيبي » وأجبتها « كنت أنتظرك طويلا » وعانق أحدهما الآخر . وراحا يتأملان سويا الجسد الذابل وصراخ الأولاد والنسوة . إنها فعلا مأساة ، تُبكي حتى الصخر . في أقل من شهر يفقدون أبا وأما ، ولكنها الحياة وديدها .

جلست البنت لتشرب كأس ماء . سمعت حركة غير طبيعية في أعلى السلم ، نظرت إلى أعلى ، صرخت وأغمي عليها ، عندما أفاقَت قالت : « شاهدت أبي وأمّي هناك يتعانقان وخرجا من النافذة كطيرين أبيضين جميلين واختفيا في ظلمة السماء » .

زوبعة

قصة :

بقلم : بهيجة الدلالي

ما يكاد حسين أو (حسنمبو) كما يحلو لنا أن نسميه أن يقبض راتبه الشهري الذي يتقاضاه من الحكومة حتى يتبخر قسط كبير منه في إيجار البيت وتسديدها وأقتناء ما يتطلبه البيت من مواد غذائية ومواد تنظيف فضلا عن المصاريف الصغيرة التي لا نهاية لها والتي تطرق بابه من حيث لا يدري. وحسين رجل عملي ، مستقيم طيب جاد في حياته لكن عيبه الوحيد عصبية الزائدة فغالبية الأحيان يكون عكر المزاج وخاصة منتصف كل شهر ، فما يكاد يأتي حتى يتضاعف تهمهم وعبوس حسنمبو ويصبح إنسانا غير محتمل بالمرّة .

سنوات عديدة من يوم أن تزوج حسين وأنجب أطفالا وأصبح رب أسرة تتكوّن من خمسة أفراد وهو على هذا المنوال وهذا النمط من العيش .. كلّ سنة يمّني نفسه بتحسين حالته المادية لكن كلما كبر الأطفال وكبرت معهم مطالبهم كلما زادت أحواله سوءا .

وفي هذا اليوم بالذات وهو السابع عشر من شهر أفريل بدت الحياة أمام عيني حسنمبو سعيلا لا يطاق ، فالدنانير تشتّتت وتبحّرت ولم يبق معه سوى مبلغ ضئيل لا يدري كيف يقسّمه. فالطلبات الصغيرة لا تنتهي (خبز وخضروات وشيء من الفاكهة والياغرت للأطفال فضلا عما يطلبونه كلّ يوم دون شفقة أو رحمة فهذا ينقصه قلم والآخر كراس والأخرى مسطرة والثغرات التي لا بدّ لحسنمبو أن يسدّها كثيرة.

وما زاد في هيجانه هذا اليوم هو طلب زوجته لثمن مجلّة «سيدتي» الخليجية التي تطالعها بانتظام ومواظبة كبيرة وتلقاها من كشك الجرائد

والمجلات كل أسبوع بلهفة شديدة . فحالما فتحت فاها وتكلمت على الدّم في عروق حسين وتتطاير الشرر من عينيه وكثر على أسنانه قائلا :

- هل لابدّ من هذه المجلة الملعونة ؟ أصبحت مثقفة ولا يمكنك الإستغناء عن المطالعة ؟

فأجابته بعدما آشتعل الغيظ بصدرها من هذا التعليق المستفز :

- أحمد الله يا رجل وصلّ على نبيّه الكريم غالبية النساء يبدّدن أموال أزواجهنّ في قاعات الحلاقة والتجميل ، أنا على الأقلّ أطلع لأستفيد وأفيد أبنائي .

وحدها حسني بنظرة صارمة قائلا :

- بلعن المطالعة التي ستكون على حسابي ... لن تري مني مليما هذه المرة... لا ينقصني إلا هذا ...

فأكثر ما يغضبه حكاية شراء زوجته للمجلات هذه ، ففي كلّ مرة تفتح فمها تطلب النقود بكفهير وجهه ويمتقع لونه ويتذكر نساء زملائه اللواتي يشتغلن ويساعدن أزواجهنّ في تحمّل عبء الحياة الثقيل فيلعلن دائما حظه العائر في سرّه حينما وجهه حينما يشتدّ بينه وبين زوجته جدال حادّ ويكون في ذروة أنفعاله فيقول لها مثلا :

- أشدّ البلاء في زمننا هذا رجل يتزوّج امرأة غير عاملة وليست لها شهاد أو تأهيل .

والسيّدة سعيدة زوجته يغيظها كلامه لكنها تتقبّله في صمت .. في سرّها فقط كانت تعاتب .. وتتكلّم وتلوم ثمّ تلتمس له الأعذار وتعتب نفسها :
- معه حقّ يا سعيدة .. الحمل ثقيل على الرّجل فهو معذور عندما يثور أحيانا لأنفه سبب فهذه الضغوطات والمشاكل الماديّة التي يعيشها أليست بسببك وسبب الأطفال ، هو يريد أن يوفرّ لكم كلّ شيء لكنّ الراتب غير كاف وهذا ما يجعله دائم السخط والغضب (يا ناري عليه مسكين) هو يبخل على نفسه حتّى من "سندويتش" عندما يجوع ويكون خارج البيت فهو لا يدخّن ولا

يذهب إلى المقهى مثل الرجال حتى لا يصرف نقودا نحتاجها نحن ويوفر لنا حياة يسيرة .

وتحاول السيدة سعيدة دائما تهدئة حسين وتقول له في كل مرة :
- أهدأ يا رجل وصل على النبي الهادي .. هل أنت الوحيد الذي تحمل ثقل الحياة ... الزمن أصبح صعبا على كل الناس ونحن أحسن حالا من غيرنا ... ماذا يقول اللذين ليس لهم مدخول شهري ... المساكين يعيشون عيشة القنوط والكلاب ... أحمد الله يا رجل .. هكذا حال الدنيا يوم حلو ويوم مرّ إلى أن يكبر الأولاد ويشغلون ويفرجها العليّ الكريم الذي لا ينام .
وتختم وعظها بالدعاء والابتهاال إلى الله وقراءة الفاتحة وآية الكرسي فينزل كل كلامها على قلبه بردا وسلاما .

لكن هذه المرة ليست ككل المرات وهذا اليوم ليس ككل الأيام فما أن فتحت فمها ويدأت بالوعظ حتى اشتعل الغضب بصدرة اشتعالا وصاح :
- لم أجذك فالحة إلا في الوعظ لو تعلمت مهنة أو أتقنت صنعة لاستفدت وأفدتنا معك .

وأصطخب الغضب بين ضلوع السيدة سعيدة ، وهمت بأن تصرخ وتولول ، لقد ملّت هذه الإصطوانة التي تسمعها طوال السنين في صبر .. والحياة أصبحت لاتطاق . لكنّها استعازت بالله من الشيطان وسألته هل يريد الفداء فهو جاهز .

كان حسين جالسا على أريكة يتصفح جريدة « أخبار الجمهورية » والسيدة سعيدة في المطبخ تطوف فيه كالنحلة تعمل باتقان ما إن تنتهي من عمل حتى تبدأ في عمل آخر عندما دخل عليها أبنها الأكبر "حمدون" من المعهد ليوقف أمامها ويسألها :

- هل طلبت من أبي ثمن تذكرة الذهاب إلى الرحلة التي نظمها المعهد مثلما أوصيتك هذا الصباح .

- أسكت الآن وإلا سوف يسمعك ويتوتر جو البيت أكثر ، إنّه اليوم عكر المزاج

الوقت ليس مناسباً .

بعصبية تكلمت وأستدارت تكمل الشغل الذي بين يديها فجاءها صوت حمدون .. لا أعترف بوقت مناسب ووقت غير مناسب وماذا يهمني إن كان عكر المزاج ... ومتى كان مزاج أبي صافياً ؟ فليسمع .. لا بد أن أذهب إلى الرحلة مثل سائر زملائي .. هم ليسوا أحسن مني في شيء .

كان صوته عالياً ما جعل السيدة سعيدة تلطم خدّها تارة وتضرب على فخذيها تارة أخرى خوفاً من أن يسمع زوجها ما قاله حمدون فيغضب ويشور من جديد ويندلع لسانه ليسقيها بكلامه السام والجارح وفعلًا تسرب الكلام وطرق مسمع حسنبو الذي طار وعلا صراخه من جديد إلى أن نفرت عروقه :
- ماذا يريد السيد أيضاً ؟.. نقود طبعاً .. ما من أحد يحسّ بما أنافيه في هذا البيت .. كلكم ترونني حنيفة نقود تجري بلا انقطاع ... كلكم بطلباتكم التي لا تنتهي حتى السيدة المصون .. وفرت لها الأكل والشرب والسكن فمردت ويدأت تطلب ثمن المجالات .. ويلقفت إلى زوجته مهدداً وكازاً على أسنانه مرة أخرى :

- آه لو طلبت ثمن المجلة مرة أخرى سأكسر أسنانك (ويضيف) كنت غيباً عندما تزوجتك لا شهاد ولا تأهيل ولا حتى إرث ولا هم يحزنون .

هذه المرة لم تعد السيدة سعيدة تحتل ... تطاوله عليه أصبح فوق كل احتمال ... لقد تجاوز حدّه .. لم يتورّع أن يجرحها ويهينها ويمتهن كرامتها حتى خلال وجود أبنها الأكبر .. كيف سينظر إليها بعد ذلك .. وكيف سيحترمها .. هذه المرة لم تستعذ من الشيطان كعادتها .. بل أنطلق لسانها (باللعن والشتم وسب الظروف التي حكمت عليها بأن تعيش مع إنسان فاسد المزاج يعشق النكد حتى النخاع . ولم تسمعه مرة واحدة من يوم أن تزوجته يحمد الله .. وإنّها لو لا الأطفال لما بقيت معه ومن هو حتى يتحسّر على زواجه منها بدل أن يتزوج موظفة .. خطبها من هو أعلى منه درجة ومرتبة ومستوى عائلي .. وهي ليست امرأة مسرفة ولا مبذرة وليست

لها مبيعة بعض النساء اللواتي يركضن وراء الزينة والبهرجة الزائفة ويتهاقن على محلات الموضة.. فمن يوم أن تزوجته وهي تعمل كالحماره مقابل الأكل والشرب فقط.. بتفان تخدمه هو وأبناؤه.. ترعاهم ولا تريد من الحياة سوى راحة بالهم وهناءهم ونجاحهم ورغم ذلك هو غير راض وغير قانع ويبخل عليها حتى بالكلمة الحلوة.. أم برهان جارتها كلما وضعت مولودا يشتري لها زوجها قطعة مصوغ وكلما صادف أن تشاجرا وغضبت منه يشتري لها أيضا إما قارورة عطر ثمينة أو فستانا جميلا كعربون رضا وتصالح وكل يوم قبل أن يخرج للعمل يقبلها وعندما يرجع أيضا يقبلها ويناعبها بكلمة حلوة.. نعم أم برهان حكّت هذا عدّة مرّات.. أي والله حكته بنفسها عدّة مرّات وفي كلّ مرّة تسمعها تتحرّس على نفسها وعلى حظها السيء فهي لا ينوبها من زوجها سوى التأفف وعدم الرضا.

تكلّمت السيّدّة سعيدة وتكلّمت وتكلّمت لتضاعف غليان دماء حنمبو في عروقه.. فأكثر ما يستغفّر كلّما نشب خصام بينه وبين زوجته المقارنات بالآخرين التي لا تبرح لسانها.. فيرمقها بعينيه اللتين أحمرتا من شدة الغضب ويقول:

- إن لم يعجبك الحال والعيشة معي فلتتفضلي.. الباب مفتوح على مصراعيه..

وتظعننا كلماته في الصميم.. وتقسم أن تغادر البيت وألا تعود إليه ثانية وعليه أن يتحمّل عبء أطفاله.. وأسرعت إلى غرفتها لتلمم أدبائها في حقيبة قديمة، والصراخ والسبّ واللعن على أشده من الطرفين.. البيت كله كالبركان الثائر.. حسّان وأمينة تجمعا حول أمهما يمنعانها من الخروج ويتوسّلان إليها بأن لا تبرح البيت وتتركهما وحدهن أقرب من أبيه لإسكاته وتهديته ومنعه من الكلام علّه يطفى وطيس المعركة الذي حمي... وتتباطأ السيّدّة سعيدة.. وتتلكأ... وتنتظر بأنّها تبحث عن أشياء لم تجدها... لكنّها في الحقيقة آحارت أين تذهب عندما تخرج.. لقد فقدت كلّ سند في

هذه الدنيا ولم يبق لها فيها سوى أولادها وحسنمبو.. وعندما تذكّرت ذلك التفتت إلى أبنيتها أمينة التي تساقطت دموعها على خديها واحتضنتها قائلة :

- لا تبك يا عزيزتي لن أبرح البيت من أجلك أنت وإخوتك ثم طلبت منها أن تذهب لشراء خبز الغداء .. وقبعت سعيدة في غرفتها وجلس حسين في غرفة الجلوس وساد الصمت بعد العاصفة الهوجاء وخيم على البيت سكون عميق قطعه بعد دقائق دخول أمينة بالخبز الخارج لتوه من الفرن المجاور ففاحت رائحته في البيت وتحركت المصارين وزاد الشعور بالجوع . إذا لا بدّ لحسنمبو أن يجلس إلى الطاولة وهذا لن يتم إلا إذا تمّ الصلح بينه وبين سعيدة فهو رجل طيّب كما قلنا .. مدّ يده إليها ليرصّها في مزاج عندما مرّت أمامه بالصّحون والملاعق لتضعها فوق طاولة الأكل .. فبدأت سعيدة متصنّعة الكبرياء .. جذبها من فستانها وقال لها معاتباً :

- كم صرت سليطة اللسان عهدي بك عاقلة ورصينة وصبورة .
قالت والدّمع يتساقط على خديها بغزارة :

- إهانتك لي أمام حمدون اليوم أفقدتني أنزاني وأخرجتني عن وعيي .
- لحظة غضب يا امرأة وزلة لسان ألم تتعودي لحدّ الآن على مزاحي عندما يكون جيبني شبه خال ؟ هل سأبخل عليكم لو كان معي نقود أنت تعرفين البئر وغطاءه هل عندنا مدخول آخر غير الراتب الحكومي الذي أقتاضاه .

جلس كلّ أفراد العائلة إلى الطاولة وقد حلّ الهناء وعمّ الرضا .. وتناثرت نكت الأولاد همسا وغمزا وهم يرون أباهم يتملّق أمهم كي تصفح عنه أكثر .. وينظر إليهم حسين وفي عينيه حنان وندم على ما صدر منه . وعندما آتتهوا من الأكل ونهضت سعيدة لتحضير الشاي مدّ حسنمبو ورقة بعشرة دنانير قائلاً لحمدون :

- أذهب إلى الكشك المجاور للعبّازة العامة وهات منها مجلّة سيّدتي لأمك واحتفظ لك بالباقي لشراء تذكرة الذهاب إلى الرحلة .

الأربعينية.. والمدينة العربي وبيت الشعر :

عبد الوهاب البيّاتي .. رؤيا بعيون قصيدة نزيف الصمت

بقلم : تميم جلال

.. مساء الجمعة 17 سبتمبر 1999 .. جاء الأجنّة من الآفاق في إحدى
الأصائل لينشدوا بعض



الونام والتلازم مع ما
تفجّره النصوص شعرية
أو نثرية من إمكانات
الإغجاب والأسر الرؤيوي
.. جاؤوا يتسلّلون لوإذا
بين أزقة وأقبية المدينة
العتيقة يسألون عن بيت
الشعر - «دار الذري» -
كما عرفها الأقدمون من
العائلات العريقة
المرابطون هناك .. هناك
تننفض بين جوانحك فتنة
الحنين لسحنة تلك الدّور
التي لا تريد أن تسبّد

تلفظ كلّ تنميط جديد .. هناك يكون للتاريخ طعمه ولثبات الوقفة وتحذّر الكيان
.. وأنت تلتاط بتلك الأزقة المبلّطة تظلللك الأقبية والشرفات - حضور الفتنة والانتماء
لا شيء يشعرك بالإغتراب وأنت تعرج على الأرصفة صاعدا ونازلا تدلف من
الشارع إلى عتبات وبوكمات الزقاق .. حتّى وإن تقلص دأب الحركة هناك ..

ونشأت أجيال جديدة تاقّت للعيش في الحيّ المشرّع على الحضارة الجديدة .. يظلّ المكان في المدينة العربي هو دلالة وخيمة الإلف التي لا تنتزع أوتادها .. ذاك فضاء الأوبة والروح والتواصل والإعتراف .. والهوية ..

وأخيرا كان «بيت الشعر» شامخا بجلاله ماثلا بتعاريفه وتقاسيمه ورمزيته المهيبة .. يتجلى التاريخ قبل الشعر بعمارتها العربية أبدعتها عبقرية الأشراف في تونس الماضي : الحاضر / الغائب فكان «الشعر بيت والتاريخ دار» ..

دلفنا إلى البيت وإلى التاريخ في ذاك الأصيل ضمأى للماء، وللشعر ولأشتات من أجناس الكتابة وهواجس الذكريات النازفة كلاما يجي، كاشفا - رمزيا أو غرائبيا فيضا سلسبيلا أو حنيئا ينزّ ببروق الإغتراب والجراح أو نويات تصدّ للإعصارية أو للإجتياح المجهول .. وتداعت فعاليات تلك الأسمية وأذان العصر .. والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا ... (الآية) .. لعلّ الشعراء والمغربون في جغرافيا النصّ يكونون بين الذين يشملهم الإستثناء مَن نواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ...

لست معنياً بتغطية سردية .. خطيبة قراتية باهتة لكل من عانق لاقط الصوت ولكنني سأنتقي بعضا من المشهد آتفا، بكلّ كلام جميل أو لم يصدق الكرم العربي وأنجنس بصدق الوفاء، للحضور والتكريم والذكرى الحية مقيما لبعض وقت تحت شجرة البياتي وارفة الظلال الشعرية والأدبية والإنسانية .

ذاك أبو علي كانت صورته تتدلى فوق رؤوس الأَشهاد يهريق عيونونه العربية المرحلة بالأمس عبر المنافي .. وشعره الأبيض الذي ما تساقط .. وجبهة ناصعة ما آنحت لغير الوطن .. وما تلاامت مع غير الفقراء .. والمتعبين .. وما يُمّت إلا لجبهة الشعر .. كان البياتي أكبر من جغرافية الحضور .. ومثته أوسع من مداد الصفحات التي كتبت وقرئت عنه .. ولكن بعضا مَن تحدّثوا وإن اختصروا واختزلوا الكلام فقد أفاضوا بوجود نادر وفتنة الولاء (الشعرية الصوفية المقدسة) للبياتي .. وأبرز أولئك من عايش البياتي منذ أوائل السبعينات الروائي العربي الكبير عبد الرحمن مجيد الربيعي اختصر بعض الإستطرادات .. ولكنها كانت من وهج قريحة نادرة ونازقة تُرجع صوت الحياة في هذا الخواء الذي خلفه شاعرنا في

كيان العروبة النصي .. وقد آنثلم بعض من صرح هذا الجدار الذي يتآكل ويتفتت ولا يعلم متى سيلعلم أشتاته ويحشد أجاده؟! يرى الرُّبَيعي أنَّ البيَّاتي قد سيطر على خمسين سنة من الشَّعر العربي « كان فيها حاضرا .. وساطعا .. لم يخب له فيها ضوء .. » .. رآه قبل مغادرته الأولى إلى دمشق من مدينة الرَّمادة العراقية.. يرحل ذاته في عيون العرب القادمين من كلِّ الأصقاع إلى مزار الوليِّ الصَّالح أكبر أقطاب الصوفيَّة.. سيدي عبد القادر الجيلاني .. كان يمَّني نفسه لو يأخذونه معهم .. « فهو مسكون بقلق نادر وفي وجهه حزن فاقع .. رغم وسامة كانت تحلله .. » وبعد : كان التَّرحال والتَّطواف في درب المنفيين « لعله قد أدمن على حياة المنفى » فكان مواطنا عالمياً عن جدارة « أنتمى إلى أمته ولغته وكان فوق الأقطار وفوق الخلافات السِّياسية » كما قال عنه في موكب جنازته: علي عقله عرسان رئيس آتحداد الكتاب السُّوريين .. رحل البيَّاتي وترك أقلاما تفجَّر المسكوت عنه في منسوجه الشَّعري الخالد .. وكان محمَّد الغزّي - شاعر مدينتنا لأغالبه في قراءة خارجة عن النَّمط حول « النصِّ الغائب في شعر البيَّاتي » بأعتبار شعره يقوم على أنقاض آثار تضج في رحاب الصَّمت .. آثار تظل هي الخلفية المرجعية الكامنة في لاوعي المنطوق « وهو قضاء تتجاوب فيه أصوات عديدة وهواتف متعدّدة » كأنَّ مهمّة المستقرئ لشعر البيَّاتي أن يستعيد مقولة الرّاحل: « .. ولكنَّ ينابيع الشَّعر تظلّ عصيّة جدا ، ليس الشَّعر خلافة ولا ورائة على الإطلاق .. » .. ويظلّ يحفر وراء القصيد .. وفي تهويمات الغربة .. وفي رسوم المنفى وفي جنوح الشَّاعر عن السَّرب كطائر جريح يستعذب غريته ويتوحّد بترانيم منافيه .

« يتزف في ليل المنافي دمي / ويحفر الطَّاغوت لي الحدي / حتّى إذا ما مرَّ عهد الصِّبا / وجدت نفسي ضائعاً وحدي » .

* في رحاب شعره :

** أبو علي : في درب العودة لا في سراب المنفى ..!

.. لن أتحدّث عن البيَّاتي بلغة التَّنميط الخطي : لغة القراءة الحاوية المتواطئ مع السَّطح والبرود .. لا يمكن أن نعيد رفات الشُّعراء رميما.. بعضهم هم اللّهب المستكين ومن يعرّي تحت السَّديم فلا مناص من أن يكتبوي بالجرم ..

والبياتي هو سيد المردة .. هو النخلة العربية وتحت أقدامه رمل الجنوب يشتعل
وعند الأفق الموج الأزرق .. لا زيد في بحره رابيا يطفو على حاله .. ولا رمل تثبت
في مهب رياحه لأنه لا مقبل له ولا مهجع ولا خيا .. ولا خيمة ولا سكن ولا ضعيمة
مستقرة .. «عنواني البحر وبيتي على / مشارف الصحراء عبر النخيل» . (د. كتاب
البحر) ذلك موطنه مائل فقط في ذاكرة وعيه القومي وصمته النازف وأشجاء
الحنين / أصداء المنفى والإغتراب وحلم العودة في لا وعيه ..

.. قد تحدثوا عن منفاك ووشحوا دائما جبينك بهذا الرّجل في الدّرب الذي لا
ينتهي كأنّها فتنة الآخر طوّحت بك في مدنها ولكنّ « الآخرون هم المجحيم » /
الآخرون هم المجحيم» (د. النّار والملائكة) كماردّدت بالأمس القريب .. ولأنتي
أجذك دوما مائلا في ذاتي أصداء شعرك تغسل روحي وتكشف أناني خلف متاريس
صمتي .. ولأنتهم قرأوك دائما بعيون الذّاهب في درب المنافي والسّفر فأنت الرّاحل
دائما إلى عوالم الآخرين فأنّني سوف أقتلك في درب العودة منخرطا في غيماتك
اللّغويّة أفضمّزنها قبل أنتمطر شعرا .. وتهطل تغاريدا وتغاريبا .. أكتشف
تباعيشك التي تشدّك إلينا .. وكلّما كنت المهريّة من باحاتنا وأطياف شعرك
المشحونة بغسقنا ونسقنا لأنك يا أيّها النّخلة / الرّمز لم تقصّص غير أوشحتنا
.. كنت ترفض اللّباس المغار .. فهو الغري والمغار .. « أبدا لن يستر الثّوب
المغار » (د. النّار والملائكة) ..

وبعد فالوطن هو الشّرى الأوحّد في المشهد أو في الغيبة .. فأثواب شاعريتك
وشعريتك الأولى والأزليّة أقتدّت ونسجت من جسد العراق : ففي دواوينك مائلة
كلّ مدائنه هناك .. وأنت العائد إليه في الحلم دائما في البقطة دائما يوقظك
لبقرع سكونك أو يقارعك لبستفرك .. ليحملك إلى واحاته وأقاصيه تعبد هناك
ترتيب أبجديّات وعيك القومي .. « بعيد أنت يا وطني / نخيلك في ضباب الفجر
أيقظني » (د. سفر الفقر والثورة) . «بغداد يا أغرودة المنتهى» .. «إنّني أحمل
بغداد معي في القلب من دار لدار» . وبغداد جزء من الوطن العربي الكبير
تحمّلك إليه أسرع السفن البحيرة في عمق ذاك البحر .. وذاك المحيط الذي يطوّق
أفق العبور المستحيل .. وتحملك الرّيح « أتكوّر طفلا كي أولد في قطرات المطر
المتساقط فوق الصّحراء العربيّة لكنّ الرّيح الشّرقية تلوي عنقي فأعود إلى غار

« حرا .. يتيسر .. » .. فهناك العراق .. وهناك الجنوب وهناك الرقاق وهناك الشرق
والزيتون فيه لا شيء ينتظر المسافر غير حاضره الحزين / وصدى القوافل والطيور
العائدات من الجنوب / بعد الغروب / أصداء قافلة تغني : إنها ربح الجنوب /
وشذا الحمائل .. إنها ربح الجنوب « (د. أباريق مهشمة) . وعند كل غسق شفتي
أوغلس مطير أو ضبابي .. يؤوب الكل حيث التلازم وتؤوب أنت يا أبا علي حيث لا
تصلب الأرض تحت قدميك فلا ألتذاذ بعطور هذا الفضاء الجديد ! .. والحصار الجديد
! .. « ما للفضاء يضيق بي / أجوازه أحرقت أجنحتي / .. ولا تسألني من أنا /
.. فما أنا إلا كهذا الجناح / جناح شريد « (د. ملائكة وشياطين) . فحواء هذا
الفضاء الحاضر يفضي بك حتما إلى فضاء الإمتلاء من الذات الذاكرة لإتعاش
الكيان للإرتواء .. فأنت أبو علي ما أرتويت أبدا .. من عبق الزهور وما الجنوب
مذ كان الصحو في إثر المطر .. ضمان أنت في ذاك الهجير ..

ضمان للألوان والعطر وللغرام العاصف المُر
إلى أب حان وأُم لها أبث هني دوغما عسر (د ملائكة وشياطين)

ضمان للأمس المنسحب بأخرا مشهده لذوئب النخلة المتهدكة على ماء الفرات
ودجلة: « العاشق ترنيمه/ على سناه تستحم الرؤى » ضمان: « للتلال الشهل والأنسام
تبكي هواها .. للرقاق .. يحرثون الأرض في الشرق البعيد » « والعصافير إلى
سروتنا الحضره مازالت تحن .. » ففي ظلال السرو وتحث ذوائب النخل وبين عتمات
الأسوار حيث مر العابرون والفاطمون في أحقاب القدم هناك نريف الصمت وضجيج
التاريخ لا شيء غير هسهسة المياه النقية على الصخور العربية الراسية وهديل الحمام
الجميل .. هناك أمس الطفولة وبراة العبور : « بالأمس كنا ، آه من كنا : ومن أمس
يكون / فوق الحدائق والدروب / لاترهب السور الذي من خلفه يأتي الضياء .. »
الضوء عند شاعرنا هو نفائسة صدره .. هو الشعر وهو الحلم .. وهو الشرق .. وهو
جبين الأحرار والفقراء الوضاء .. وهو عفة الكتابة الرسالية هو الذي يقاوم
« اللامعنى واللامعقول .. » والضوء نقيض البؤس .. صدر أبو علي دهبوانه (الذي
يأتي ولا يأتي) بمقولة ألبير كامي : « كل فنّان يحتفظ في أعماقه بنبوءة فريد

يشكل مصدر تصرفاته وأحواله طوال حياته ، إن هذا النبوع بالنسبة إلي يظل أبدا
ذكريات عالم البؤس والضوء ، الذي عشت فيه لفترة طويلة ...

يظل هذا الضوء ، هو جذوة الحضور البياتي يفجره من بطون غابات اللغة العذراء ،
ومن لغة الملهمين الناصعة والفيضية الدافقة من خلفية معجم العشاق والشائرين
والعرفانيين .. وأبرز أولئك الحاضرين / الغانين في نص أبو علي نجد : محي
الدين ابن عربي .. وعمر الحيام والمنتبي .. ولوركا .. وجيفارا .. والحلاج : « كان
الحلاج رفيقي في كل الأسفار وكنا نقسم الخبز ونكتب أشعارا عن رؤيا الفقراء
المنبوذين .. » (د. شيراز) . وكذلك السهروردي والمعرفي ووضاح اليمن .. والحسين
بن علي : « ويحي على العراق / تحت سماء صيفه الحمراء / من قبل ألف سنة
يرتفع البكاء حزنا على شهيد كربلاء .. » (د. الموت في الحياة) . هؤلاء : أقباس
الوعي القبلي .. وهم الذين يؤثثون لغة العودة ومشهد العودة هم سدة قصور اللغة
البياتية والشعرية العالمية البياتية .. والمخطاب الخارج من النسق .. وضد ردة
النسق .. هؤلاء الذين يجرجرون أبا علي .. للعودة حلما وكيانا لسمع مرديده
الفقراء نشيده الخالد هناك : « في قلب إفريقيا وفي الكنج المقدس والقتال / حيث
الرجال السمر تحت الشمس يقتحمون إعصار المنون / ويصنعون / تاريخهم
ويدافعون عن الحضارة والغد المأمول بالدم والدموع .. » (د. أباريق مهشمة) .

هناك سيعيد بث النور والحياة في ذاك الكوخ اللأزمة الإيقاعية وترديدة الحنين
المائلة في جل قصائد الشاعر .. لن أعيد تفكيك هذا الكوخ يا أبا علي .. أنا .
فقط . واقف عند أحد قلوبه أسد عنه الريح والغيلان ورعب الليل .. هو الكوخ ..
هو العشق النقي الباقي .. فهناك عصر الصباية وهناك الحبيبة الشريفة تحتشد في
ليل الإنتظار تنظر من ثغوره إلى الأفق البعيد بعيون زرقاء اليمامة : سيرجع حتما
أبو علي .. قد يكون ذاك الكوخ في غابات كردستان أو بابل أو كربلاء .. « ..
يخفق في ظلام الليل كالشك المبيد » .. سيعود أبو علي .. حتما .. وفي دريه
كل الحواريين .. ففي بلاه الآخرين عذبه السؤال / الجحيم : « لماذا نحن في المنفى
موت ؟ » فهناك رأى اللأجنين العرب المرحلين من الجليل .. والخليل .. « يا من
رأى أحفاد عدنان على خشب الصليب / يا من رأى « يافا » باعلان صغير في

بلاد الآخرين » .. وهناك رأى آخر القلاع في السبي : غرناطة !.. » .. تحت قبّعات
الحرس الأسود والحديد .

» .. من ممّا العازف تحت الشرفات العربيّة في غرناطة يبكي حبّاً وحبيباً ما
يطوف أزقتها مخموراً في وحشة من يرحل أو يبقى ، يبدأ أو ينهي رحلته .. ويتول
وداعاً لما ذنّ قصر الحمراء .. » (د. شيراز) ومن تحت أسوار قصر الحمراء سبطوك
"يسوع" الشعر في درب العودة عبر نيسابور وبخاري : « بمآذنها الزرقاء تصلي
للأنهار الوحشيّة في أعماق لالليل .. » .. إلى معرّة النعمان وبابل وآشور وبغداد
ودمشق وبيروت . عواصم الشرق وعرائس : « .. الأعصر الخالية » ..

سيعود أبو علي .. سيعود ليزود بشعره عن مورد ماء الجنوب .. ونخل الجنوب
وفلاحي أرض الجنوب يستمطر من عبقريته شعراً يؤثث به مشهد الفجر القادم ..
* فما هي أقباس الشعر وشاراته عند أبي علي ؟ ..

لا غلّك أن نحاصر أنسياحاتنا في درب البيّاتي فشعره اليمّ حيث لا قرار يعانق
الشمس ويكتسح السدود .. لا شيء يوقف هذا الطوفان ولعلعة هذه البروق في
سماء الغرب والشرق وبلغات العرب والعجم ...

إنّ الكتابة عند شاعرنا هي الصلّة الطهوريّة والحرف هو رحيه المنطوق : « أيّها
الحرف / الذي علّمني حبّ الحياة / أيّها الحرف الإله .. / كلّ ما أكتبه محض صلاة /
لك، للعالم ما أكتبه .. » إنّه لا يصرّف حروفه من انتقاء في لحظة بهجة أو ترف ..
وإنّما آجراح الكلمات في أتون المعاناة ، معاناة الإحترق والوحي والإكتواء
والإشراق والحلول والولادة والتوحد مع ملكوت اللغة النازفة في مسارب المطلق :
» .. صيحاتك كانت فأس الخطاب الموغل في غابات اللغة العذراء .. » / .. » ..
أجرح قلبي ، أسقي من دمه شعري .. » وهذا القلب ليس واجفاً أو جافياً وليس
آنزالياً أو نجبياً .. بل إنّه القلب الكبير الأخضر الذي يتسع لكلّ المحتشدين في
جبهة شعره الناصعة فمن بين ظهرائهم ينتفض الحرف فينسب على كلّ رقّ من
متون شاعرنا : « لغتي تخرج من معطف أبطال البشر الفانين / تسكنها صيحات
سكاري ومجانين / ولدوا من أوجاع العصر الذريّ وطوفان حروب التحرير » .

وبعد يا أبا علي فلغتك هي يتابع بهجتنا . نحن أتباعك . نقفات منها في كلّ

الفصول مواويل نغنيها في درب العاندين والأجنيين والعاشقين والحاصدين المحملين
بالقمح في أصائل الجنوب السعيد حيث القوافل بالوجوه السمر و"عدايل" التمر
تؤوب بها النوق الحوامل وفرسان البوادي !!!

سنتنقش كلماتك يا أبا علي على ضفاف الفرات والتّيل وعند أسوار « يافا »
وصيدا والجولان والقيروان .. وفي غابات طنجة والجبل الأخضر وفي صحراء اليمن
.. « .. وفي ظلمات الحريف الكتيب / وحول لهيب الشتاء الطويل / سيقرا
ديواني الحالمون وينشد شعري هزار الحقول / فيهتف في سره عاشق / ألا ليتني
مثل هذا أقول » . (د. ملائكة وشياطين) ..

أخيرا .. حضرت يا أبا علي في رحاب شعرك بكلّ لهيب العشق في كلماتك
.. فمرة كنت أخاطبك كأنك في محرابك .. ومرة أشيعك بعيوني فيما وراء البحر
.. ومرة أراني عند المراسي أو في ظلال النّخيل أنتظر عودتك ..

وإذا ماتت وأعياني السّفر ضربت خباء كلّ خيمة مررت بها ألمّ أشتات
ذكرياتك من أفواه الفقراء .. وأجمع أشياءك .. وأنا على يقين تاريخي أنك
ستعود يا أبا علي .. ستعود إلى الوطن الكبير في درب العزة والإعتراف كما
كنت دائما لا تحني هامتك .. وأنت الذي قلت لنا : « إن معجزة الإنسان أن يموت
واقفا وعيناه إلى النجوم .. وأنفه مرفوع .. » ..

ما مات البيّاتي .. وقد بعث من جذوع النّخلة الفرعاء يردّد : « عدت إلى
دمشق بعد الموت .. » !! . (د. قصائد حبّ على بوكبات العالم السّبع) .



الملتقى الوطني للأدباء الأطفال في دورة الإبداع

بقلم : محمد العثماني

الطريق من مدنين إلى بنزرت طويلة تشقّ البلاد في اتجاه الطول ممتدة على 500 كلم لتربط الجنوب بالشمال - المسافة بعيدة والسفر في الصيف شاق عسير ، في حرارة قياسية وعلى مقاعد سيارات الأجرة الحارقة، والإنظار في المحطات مملّ، والعطش المضي يجفّف الحلق لا تفلح معه قارورة "صافية" أشتريها مثلجة فلا تلبث أن تتحوّل ساخنة حميما ، ولكن كلّ ذلك لم يمنعني من تلبية الدعوة لحضور فعاليات الملتقى الوطني للأطفال الأدباء الذي انعقد بمنزل عبد الرحمان أيام 31/30 جويلية و1 أوت 1999 وفي الحقيقة ، فإنّ السفر يوفر لي متعة أخرى ويحقّق لي لذة لا يعرفها غير من جزيها فأدمن عليها ومن كان مهوسا بالرحيل مثلي .

إنّ الرحيل هاجسي - أشدّ عصاه وأضرب في دروبه ، وأنجشّم وعثاء لأطوي المسافات النائية كلّما دعتنني له الأسباب وسنحت به الفرصة وخاصة إذا كان ذلك من أجل الأدب وفي نطاق تجربة الكتابة ممّا ربط بيني وبين هذا الملتقى وشائج العلاقة وإنتماء . وقد تهيأ لي أن أكون مشاركا خلال الدورات الثلاث الأخيرة متوجّا بالجائزة الأولى في كلّ مرة، وهذا وحده يلزمني بالإخلاص لهذا الملتقى ويشجّعني على الحرص على مواكبته . إنّ هذه التظاهرة المتميّزة التي دأبت على تنظيمها دار الشباب والثقافة « آبن رشد » بمنزل عبد الرحمان قد أصبحت من التقاليد الراسخة والمواعيد الثابتة التي ننتظرها نحن الأطفال بفارغ الصبر لأنّها في الحقيقة قد آرتقت إلى حدث فكري برهن عن مدى نجاعته في احتضان المواهب والإبداعات التي يمارسها الأطفال في علاقتهم مع الحرف والكلمة ، وتأكّد من خلاله

صقل تجربة الأدباء الناشئين مبرهنين عن قدرتهم على الإنتماء إلى صف الكتاب والمؤلفين بكفاءة تشهد بها النصوص المشاركة التي ما أنفكت تؤكد أن الطفل التونسي قد أنخرط بعد في الإنصاف برؤيا واضحة واهتمام جاد بقضايا الإنسان المعاصر والإلام بمقتضيات العصر بفضل ماتوفر له من مناخ ثقافي سليم وتشجيع على الخلق والإبداع لفتح آفاق التألق والإمтиاز .

في منزل عبد الرحمان محس بحميمية المكان وصدق الناس في تعاملهم مع بعضهم ومع الزائرين حتى لا تشعر بالغرابة وللبلدة الجميلة الركبضة على أكتاف البحر خصوصياتها ، وللطبيعة هناك سحر يتكامل في روعة الشاطئ اللازوردي وروعة الغابة في رمال الذهب بمنزل جميل حيث كانت إقامتنا طوال الأيام الثلاثة للملتقى وللناس شمائلهم وطيبة الكرم صادقا في الإحتفاء بضيوفه .
إن للطبيعة وحسنها على ضفاف بنزرت سحرا غير مجهول ، ولكن دعني أحدثك عن فعاليات الملتقى وفقراته الدسمة .

* اليوم الأول : أفتتح السيد معتمد منزل جميل هذه الدورة التاسعة على بركمالله ، فوضع الحدث في إطاره وتطرق إلى إبراز ما أصبح الطفل التونسي يحضى به من حظوظ في ممارسة هواياته والتعبير عن مشاغله والإستماع إليه وتمكينه من حقوقه في ظل التحول المبارك وفي أحضان هذا العهد الجديد الذي وفر للجميع المناخ المناسب للطمأنينة حتى يقبل الفرد التونسي على الخلق الفاعل ، وتوجه السيد المعتمد للأطفال المشاركين بالدعوة إلى العمل والمشاركة لا سيما وقد توفرت لهم كل الفرص للأخذ بأسباب المعارف وتحصيل العلم ...

* البنت : ميساء الحميدي ، كانت مفاجأة الملتقى :

من مواليد 1984 . قادمة من مدينة القيروان : شاعرة نجحت بعد في إخراج مجموعتها الشعرية الأولى «ورد لغد وردي» للسوق لتؤكد للجميع أن السن لا يكون حاجزا دون التألق والإبداع ، وأن الطموح وحده كفيل بتجاوز كل الصعاب .
الشاعرة الصغيرة قد واكبت فعاليات الملتقى ضيفة وقرأت بعض قصائدها خارج

المسابقة ، وقد أفتتحت الدّورة بقراءات شعريّة لبعض النّصوص الوطنيّة. فسح المجال بعدها لفقرة تشطيّة من أهمّ محتوياتها الألعاب التّرفييّة والرّقص والأغاني للشّرويح عن النّفس . وما كان أحوّنا إلى ذلك على إثر وصولنا من سفر تشق له أكباد الإبل (أو قل تكلّ له محرّكات السيّارات وتتناكل أطر العجلات) . شكرا للفنان عبّود وجماعته الذين أمتعنونا بهذه المحطّة التّرفييّة وخفّفوا عن النّفس بعض ما علق بها من إرهاق السّفر ...

* اليوم الثّاني : أشتمل البرنامج على جلسات علميّة ومناير للمحوّار في الحصّة الصّباحيّة وخصّصت فترة المساء لقراءات المشاركون .

أشرف المرّبي الفاضل السيّد ساسي حمام على جلسة علميّة قدّم فيها مداخلة بعنوان : « الطّفل المغاربي والعلوم » تعرّض من خلالها إلى موضوع علاقة الطّفل بالكتاب ليؤكّد أنّ الثّقافة هي التي تبني شخصيّة الطّفل ، فلا بدّ إذاً والحال تلك من أن تكون ثقافة متوازنة تقوم بدورها المطلوب ونحن نعيش فترة أنتقاليّة من عصر الصّناعة إلى مرحلة ما بعد الصّناعة ، تضعنا في مواجهة التّحدّي أمام تفجّر المعلومات وهيمنة الإعلاميّة والأنترنت . فلا بدّ حينئذ أن نهيّئ للأطفال الإطار الملائم ونمكّنهم من الأخذ بأسباب ذلك مسند الدور الأساسي في ذلك للكتاب المختصّين في الكتابة للأطفال وما تضطلع به بعض دور النّشر والتّوزيع في توفير القصّة ذات الإهتمامات العلميّة مستعرضاً نماذج من التّأليف وقد تناول مسألة اللّغة والمحتوى والأسلوب في كتب المطالعة بين المتوقّروالمطلوب .

وتلت المداخلة مائدة حوار للإثراء أثّنها الحاضرون بأثارة قضايا مختلفة حول ماله علاقة بالموضوع المطروح ووسطت بعض الآراء للتّحليل والنّقاش بما أثّرت الجلسة وساهم في تفعيلها فأستعرض السيّد عزّالدين فضلي (أمين مكتبة الدّهّماني) بعض الأفكار في ما يراه من طرق كفيّلة بالتّرويج في المطالعة وتحقيق الحوافز المؤدّية إلى الرّغبة في مخالطة الطّفل للكتاب وما أفرزته الحضارة الحديثة من مزاحمة بعض الوسائل للكتاب والتي بدأت تفتكّ آهتمام بعض النّاس على حساب القراءة ، وقد

أشار في سياق ذلك إلى خطورة بعض أنواع الكتب الركنجة التي لا تحقق أهداف القراءة المفيدة وتسيء للقارئ أما المرسي الهادي العثماني فقد نوّه بكفاة بعض المؤلفين التونسيين في ميدان الكتابة للأطفال بما أثرى مكتبة الطفل التونسي وخاصة على مستوى الكيف بما يستجيب للمواصفات البيداغوجية المطلوبة مذكراً بأبرز الأسماء مثل «محمد الحبيب بن سالم» و«عبد المجيد بن عبد الله» وغيرهم ممن حققوا الإضافة المطلوبة في الكتاب الموجّه للطفل ، وقد حلل السيد العثماني العلاقة بين الكتاب والقارئ مؤكداً على دور الكتاب في توفير المعين الأساسي للمعرفة موصياً الأطفال بمزيد الإقبال على المطالعة مشيراً إلى وجوب استغلال التطور التقني في توفير الكتاب وتحقيق جودته بدل مزاحمته والعمل على القضاء عليه .

حول النقص الواضح في الكتابة الموجّهة للأطفال مقارنة بالكتاب الخاص بالكبار ، تساءل الطفل محمد العثماني مؤكداً على ضرورة القيام بالإجراءات اللازمة لجعل الكتاب في متناول المطالع وتمكينه من ذلك فأجاب المرسي السيد ساسي حمام بأن الكتاب للطفل من الصعوبة يمكن إذ لا بد من التزام مواصفات معينة يتطلبها هذا النوع من التأليف دون غيره : أخلاقية وبيداغوجية . فما كل ما يكتب صالح للقراءة ... لقد كانت هذه الجلسة ثرية ومفيدة أنبأت عن استعدادات الأطفال للإستفادة وبرهنت عن ثقافة المشاركين وسعة أطلاعهم ...

* في الفترة المسائية خصّصت الحصة لقراءات المشاركين وقد تمّت أغلب النصوص عن مستوى راق وكفاة بعض الكتاب الصغار وتحجّروهم للمرحلة التجريبية في كتابة القصة والسيطرة على فنيات الكتابة من حيث المحتوى واللغة .

* اليوم الثالث : تواصلت قراءات المشاركين لنصوصهم في نطاق المسابقة وقد تخلل ذلك مراوحات شعرية حيث قرأ كل من نور الدين هلال والبشير الدريدي بعض القصائد في أغراض مختلفة ، أما الشاعر الهادي العثماني ، فقد أسمع الحاضرين قصائد خاصة بالطفولة تنزكت في نطاق مشاغلهم وأهتماماتهم ، وهي قصائد تذكّرنا بالأشعار المدرسية من المخطوطات والأناشيد القريبة من الأطفال على مختلف مستوياتهم .

* هوامش وعموميات :

أطفال الدهماني من ولاية الكاف الذين ينشطون بالمكتبة الوطنية بالمكان حضروا كعادتهم بعدد كثيف للتعزيز والإستفادة وذلك رفقة مؤطّرم السيد عزّ الدين فضلي (14 مشاركا) وكعادتهم أنشوا الملتقى وأنشروا فعالياته بنشاطهم وتنشيطهم من خلال مساهماتهم المتميزة بفقرات تنشيطية أناشيد وقصائد مغناة) للثنائي : دغبوج بن سهيل ومنال مليك .

شهاداتهم حول الملتقى :

- السيد عز الدين فضلي (أمين مكتبة الدهماني) :

للمرة السادسة نحضر على التوالي ملتقى أدب الأطفال وحضورنا يؤكد بوضوح تعلّق أطفال الدهماني بهذا الحدث ورغبة منا في نفع الطفل في الحقل الأدبي وتنشئته على حبّ الكتابة حتّى نهيئه لمستقبل أفضل ، ويندرج هذا الحضور المتواتر ضمن المجموعة في حرصنا على تحقيق الإنسجام والتعارف وتبادل الآراء في محتوى الكتاب وفي مستجدات العالم المغربي بشظورات ومواقبته للعوامة .

الملتقى تواصل ثري وفرصة لبروز الأطفال الأدباء ، عمل يسهر من ورائه رجال طموحون على رأسهم السيّد محمد السّعدي مدير دار الشّباب والثقافة بمنزل عبد الرّحمان الذي أكّد لنا من خلال عزمه أنّه جادّ في نجاح المسيرة الثقافية في الوطن ، ولما لا في المغرب العربي مستقبلا .

أشكر كلّ السّادة الذين أكّدوا بصدق حفاوتهم بنا خاصّة وبالمجموعة عامّة وعلى رأسهم السيّد محمد السّعدي .

- سامي ونّاس : (مشارك ولاية تونس) :

إنّي أرى هذا الملتقى وقد وصل من الأسباب بين الأدباء الأطفال ما أنقطع ومن العلاقات بين الكتاب الكهول والكتاب الأطفال ما فتر . وبرز ذلك من خلال تعرّف الأطفال على بعضهم البعض وتجاوزهم وكذلك من خلال تحاور الأدباء الكهول والشبان.

الملتقى مثل فرصة سانحة لعرض القضايا التي يعيشها الكتاب ، والمعضلات التي يعانون تبعاتها في بلدنا وفي الوطن العربي ، وفي العالم برمته كما أبرز مكانة الكتاب السامية ، ومنحه الأهمية التي يستحق فرغف فيه ، وحجبه ، هذا بالإضافة إلى تعرف ما أنتجته قريحة الطفل التونسي الذي سيكون رجل الغد في المجال الأدبي .

- منى الشابي (مشاركة/الدهماني) :

أرى أن الملتقى هذه السنة تغير من حيث المتعة والعناية، وكذلك الانضباط وقد أعجبتني من جميع النواحي وأتمنى أن يكبر ويشمل جميع بلدان المغرب ليكون التعارف مكثفا أكثر

- المربي الهادي العثماني / مدين :

واضح أن الملتقى ما أنفك يترسخ مستقطبا مزيد الإهتمام من سنة إلى أخرى ليكشف مواهب حقيقية أتنبأ لأصحابها بما سيكون لهم من مكانة مرموقة في الميدان الأدبي .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

إن بعض النصوص قد بهرنني فعلا بما وصل إليه كتابنا الأطفال من النبوغ والكفاءة في السيطرة على أدوات الكتابة الأدبية بنضج يمكنهم من مزاحمة المؤلفين الكبار .

أنا مطمئن إلى أن مجموعة لا بأس بها من المشاركين ستواصل مسيرتها بشبات وبقدرة عالية وقد انعقد لهم بعد لواء الكتابة الصحيحة وأنخرطوا بآستحقاق في مجال الإبداع ...

من موقعي كمرب، لا يسعني إلا أن أنوه بالمستوى العام وأبارك هذا الجهد وأتمنى مشجعا أطفالنا على مزيد التآلق والإبداع .

تقرير لجنة القراءات :

أختتمت لجنة القراءات هذا الملتقى بتلاوة تقريرها وقد ضمنت تنويهها بالمستوى

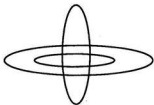
الَّذِي حَقَّقَتْهُ النِّصُوصُ الْمَشَارِكَةُ مَقَارَنَةً بِالدُّوَرَاتِ الْمَاضِيَةِ وَأَمْتِيَازَهَا بِشَرَاءٍ لَغَوِي مَرْمُوقٍ :وَقَدْ تَطَوَّرَتْ جَلَّ الْكِتَابَاتِ شَكْلًا وَمِضْمُونًا . وَكَانَتْ مُتَقَارِبَةً مِنْ حَيْثُ الْمُسْتَوَى عَمُومًا ثُمَّ نَتَجَ عَنْهُ صَعُوبَةُ تَصْنِيفِ الْأَعْمَالِ وَتَرْتِيبِهَا كَمَا تَوَجَّهَتْ اللَّجْنَةُ بِصَادِقِ شُكْرِهَا لِأُسْرَةِ التَّعْلِيمِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، مُعْتَبِرَةً أَنَّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْأَطْفَالُ مِنْ إِبْدَاعٍ إِنَّمَا هُوَ ثَمَرَةٌ مِنْ مَجْهُودٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ وَالْعَائِلَةِ وَذَلِكَ بِفَضْلِ التَّشْجِيعِ وَالْمَتَابَعَةِ وَتَهْيِئَةِ الْمُنَاحِ الْمُنَاسِبِ لِلْمُبْدِعِينَ الصِّغَارِ مَبْشُرَةً بِأَنَّ الدُّورَةَ الْقَادِمَةَ سَتَكُونُ مَغَارِبِيَّةً (وَقَدْ صَفَّقَ الْحَاضِرُونَ لِهَذِهِ الْبُشْرَى طَوِيلًا) .

فِي الْخَتَامِ : أَحْرَزَ عَلَى الْجَوَائِزِ الشَّرَفِيَّةِ كُلِّ مَنْ :

- مُحَمَّدُ الْعُثْمَانِي (مَدْنِيْن) عَنْ قِصَّتِهِ «دُرُوبُ السَّلَام» مَعَ مِلَاحِظَةٍ : عَمَلٌ مُتَمَيِّزٌ .
- سَامِي وَنَّاسَ (وَلَايَةِ تُونِسَ)
- ذَكَرَى الْغَرْبِي (وَلَايَةِ أَرِيَانَةِ) .

كَمَا نَالِ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَارِكِينَ جَوَائِزَ تَشْجِيعِيَّةً ، ثُمَّ وَقَعَ اخْتِتَامُ الدُّورَةِ وَوَدَّعَ الْمَشَارِكُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَمَلِ الْإِلْقَاءِ فِي الدُّورَةِ الْقَادِمَةِ الَّتِي سَتَكُونُ مَغَارِبِيَّةً . وَغَادَرْنَا بِلَدَةَ مَنْزِلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَعَ تَمَنِّيَاتِنَا لِهَذَا الْمُلْتَقَى بِالتَّطَوُّرِ وَالتَّوْفِيقِ .

* شَهَادَةُ شُكْرٍ أَسْتَحِقُّهَا بِأَمْتِيَازِ الْعَمَلَةِ السَّاهِرُونَ عَلَى خِدْمَتِنَا فِي مَرْكَزِ الْإِقَامَةِ بِشَاطِئِ الرَّمَالِ ، فَشُكْرًا لَهُمْ عَلَى جَلِيلِ خِدْمَاتِهِمْ .



هنا قلبية !

المهرجان الوطني للأدباء الهواة

في دورته الثالثة عشرة

متابعة : بلهوان الحمدي

فاتحة :

للمرة الثالثة عشرة نلتقي بنفس طموحنا الذي جننا به في الدورة الأولى ،
وبنفس الحلم : غدنا الذي نتعقب خطاه بصبر ومثابرة ، ذاك الذي وصلنا
بأعذب ما تضرعت به زهرة أمسنا .
لا شيء يتكرر رغم ذلك ، كأننا نلتقي لأول مرة ، حتى الترحيب
وكلمات السلام التي تذبذب جذتها بالتقادم ، تزهز على ألسنتنا غضة جديدة ،
لم نضع ميثاقا ولا كتبنا عهدا ، ولكن مشروعا واحدا : نأتي لنبقى ، ونكتب
لنسَمي غدنا الذي هو لنا ، بلطف نطلب من أجدادنا الأجلاء أن يكتفوا
بحصتهم من النهار ، وأن يتفَيَّؤوا ظل أمجادهم الوارف ، نقول لهم : هذا يومنا
ونحن أدرى به وأقدر على محاورته ، نحن لهذا اليوم كما كنتم لأمسنا .
نفتح أفقا ونسكنه . ولانحلم بل نعيش أحلامنا ، نوسّعها إذا ضاقت
ونعلي سقوفها ، نعيد صياغة الجغرافية لنسكن بيت الإبداع الأدبي ونعود به
إلى عهده الأول : خيمة لغوية تسمي الوجود وتسع النهار .

عتبات المهرجان :

نحاول أن نرصد أهم ردهات المهرجان بعين متلصصة إنتقائية ونقدية على

وجه الخصوص: أقباس المعرفة (1) الورشات (2) شعرا، وشعر (3) بعض الشّئات (4)

1 - أقباس المعرفة :

1 - أسئلة التّجربة الشعريّة الجديدة بالمغرب الأقصى (الدكتور محمد الشراوي - كلية الآداب ظهر المهران - فاس) .

أعتمد الأستاذ المحاضر على نصوص لأسماء مغمورة تمارس الكتابة في محترفات (ورشات) كلية الآداب بفاس . فالنماذج متربّصة إلى الوجود . ومنذ البدء يقول الباحث : « لن أغازل هذه التّجارب بل سأرصد مناطق الضّعف فيها وأطرح أسئلة » حول بنية اللّغة وبنية المعنى وبنية الإيقاع .

أمّا من حيث هي كائنات لغويّة تتبدّى النصوص الجديدة ذات لغتهمغسولة واهية تشكو من الخلخلة وتنتمي إلى المعجم التّواصلّي التّداولي العادي . فهي إذا لا تبلغ مدار التّأويل من حيث المعنى تهيمن « تيمات » اليأس والإنهزام والألم على أغلب قصائدها . فهي تترجم عن ذوات منشطرة غارقة في الجرح وممسّدة الأفق ممّا يؤول بها إلى الإرتقاء في أحضان الحلم « وشطحات الدّراويش »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالنصوص المدروسة غموض وإبهام في المعنى تسفر عن نويات هذيان . من حيث بنية الإيقاع (الموسيقى) تنفلت الكتابات الجديدة عن الكلاسيكيّة التقليديّة أي عن سيمتريّة العمود الشعري القديم وتلجأ رغم ذلك إلى تمثّلات صوتيّة تفرّغ النصّ من شعريّته . فالإيقاع هو وليد شكل الألفاظ والمعاني وليس مجرد نظم .

2 - تقنيات كتابة القصّة القصيرة (الدكتور محمود طرشونة - كلية آداب من هوية تونس) والرجل أستاذ أدب مقارن بدأ قاصّاً (النوافذ) وانتقل إلى الرواية (دنيا - المعجزة - التمثال) بدأ بتعريف القصّة القصيرة بأنّها فنّ صعب جداً غير مسيّج بقواعد أوضوابط ولكنّ ذلك لا ينفي بعض ثوابته نعثر عليها في النصوص التّأسيسيّة التي أبدعها الرواد في العالم العربي (تشيكوف

موياسان - ألان بو...) أي أن القصة القصيرة لم تضبط لها قواعد سابقة لكتابتها وممارستها ما ليس قصة قصيرة ؟

- الرواية لأنها تستيطن الواقع وتفسره وهذا ليس من شأن القصة .
- المقالة وتتسم بحضور قوي للكاتب ومباشرة وتعميم والقصة الجيدة تنأى عن ذلك . - المقالة القصصية وهي الخطاب التأملي المباشر كالتى تقرأها في (المعذبون في الأرض) لطف حسين وفي أغلب ما كتب عبدالقادر المازني والمنفلوطي .

بنية وخصائص القصة القصيرة ؟
القصة القصيرة نسق سردي مغلق غير قابل للتعدد (الأصوات - المواقف - الأشخاص) .

البداية - > إلغاز - > لا إسهاب ولا تميع فهي ليست تقدما أو تمهيدا للنص .
النهاية - > القطب أو اللب - > مفتاح اللغز . فهي لحظة الإنكشاف والتنوير كأن تكون جملة أخيرة في النص أو ربما اللفظة الأخيرة من الجملة الأخيرة أو علامة تنقيط أو بياض بشئ بالصمت . بل قد تكون نهاية القصة في لهجة الخطاب (سخرية مثلا) وهي تحتاج إلى ساردة محثالة وقارئ فطن .

وأنطلاقا من طبيعة القصة القصيرة التي يرى الكاتب الأمريكي "ألان بو" أنها تقرأ في نصف ساعة أستوجب الأمر الإقتصاد في ذكر التفاصيل والتركيز الوظيفي وصولا إلى لحظة التنوير . يقول تشيكوف : « أفضل لك أن تقول ما لا يكفي من أن تقول ما يزيد على الحد » .

تقوم القصة القصيرة إذا على التكثيف بالتلميح والإيحاء بواسطة لغة نثرية فنية . « إن الأقصوصة إبداع في اللغة وباللغة » (صبري حافظ) .

2 - ورشة المقال النقدي :

أشرف الأساتذة مبروك المناعي ومحمد علي اليوسفي ومحمد البوبكري على محترف المقال وقد راوحت الجلسات بين المتعقبات والإفادة .

فمنهم من بحث في السرد (قصة ورواية) وبعضهم قارب مجاميع شعرية لأصوات جديدة .

حظيت مجموعة « مجدي عيسى » « تقريرض الشهوة » بمقالين بامضاء الصديقين " حافظ الطوجاني و"محمد الغانمي معز بن يوسف بحث في « أنيثا الزهر " للشاعر عبد الفتاح بن حمودة .
في مجال الرواية درس الأستاذ عبد الحفيظ الزواري نصاً من مسرحية "السد" مركزاً على جانبه التقني المسرحي .
كما أهتم الصديق صابر حباشة برواية حسن بن عثمان "بروموسبور" .
أما الأساتذة "سلوى السعداوي " فقد ردت على مقال للأستاذ "فؤاد القرقوري " حول رواية "دنيا" لمحمود طرشونة .

وقد أتسم مقالها "الحياة بحثاً عن السرد " بالإيجاز الشديد .
بقي أن نشير إلى نواحي لا يصرح بها المشرفون على الورشة منها أن :
* استمرآء نص شعري أو قصصي يحتاج إلى نفس مفعمة وحس شفيف يكون خلاصة معايشة حبيبة للنصوص وألفة مستديمة لشتى ضروب الإبداع أكثر من حاجته إلى مناهج صارمة ومنظومات نقدية قديمة أو حديثة تحاول وتجهد نفسها لجعل الخلق الأدبي مشروطاً رهين سلاسل وأغلال .
* بعض المشاركين من « مشاريع النقاد » يحسب نفسه سلطة تشرع وتلغي ما بدا لها من النصوص بترجيبة متهافئة وأدعاء "أكاديمي" مهزوز .
* بعضهم يحل بل يضمحل إلى درجة التلاشي في أستاذه . فتراه يتمثل طرائقه وآجهااته بل يقلده في نبره وجلسه وأسلوب حديثه ويتبنى أو يتلبس شخصية "دكتوراة" قصراً . وهذا سلوك لن ينشئ باحثين أو نقاداً بل نسخاً مشوهة من أساتذة كبار (توفيق بكار - حمادي صمود - محمود طرشونة ..) .

3 - شعراء المهرجان :

أستضاف المهرجان شعراء من تونس وأنفتح هذه الدورة على الجزائر

والمغرب .

من تونس قرأ «مجدي بن عيسى» صاحب "تقريض الشهوة" والشاعر «مراد العمدونى» صاحب "أوهام الطين" والروائي الشاعر "محمد علي اليوسفي" أنشد بعض قصائده النثرية .

1- الشاعر "مجدي بن عيسى": تلا مقاطع من قصيد : «أرواح مهملة» .

* السور :

مستوحدا / يحرس ما يليه / من شجر ومن سحب / وقانعا كعشبة / لا يعتربه من وقوفه التعب / يقيم للفراغ هيئة / ويجعل النسيم / وسائد وينشر الظلال / من حوله / أجمل من سبائك الذهب .

* الطاولة :

المعدن الحي وروح الشجرة / الزهرة المنقوع لونها في الضوء / الورقه / القوة السوداء والسجائر المحترقة / ... / من ذا الذي / يثرثر في سكونها ؟ / من ذا الذي يوقع / أنفاسها المنتظمة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

2 الشاعر "مراد العمدونى" : يقول في «ذكرى» :

فؤادي / كيف يكون العليل / إذا كان وقع الجفاء قاتلا / أطلت البكاء / على ذكرها / ولازمني وجدها الخابل / وألجمت نفسي / عساها تراني / فما عادني طيفها الخاذل / رسمت على ظلها صورتني / وقلت لمن زارني راحل .

3 - الشاعر محمد السعداوي : يقول في «حين يجهشنا القصيد» :

مطر على شجر / ليل قمر / عيون الله نائمة / ولا تنام عيون الشعراء ! / يا دمه المستغيث / يا دمه ... / لاشعر اليوم / لا خمر / لا كلمات / لا جمر نسكبه / كي يولد الوهم الجميل / هذه الأرض أضيق / من مدانا ... / وهذا الحزن أكبر / فأني اللغات تحتوينا / وأي الكلام .. / يهدد دهشة الحلم فينا / قصائدنا يا موتنا الكثير / كم مرة أنطفأت / شمعة الروح / وقلنا

أخيرا / قصائدنا ... / كيف نجبهشك الآن / كيف .. / ولا شعر اليوم / لا
خمر / لا كلمات / لا جمر نسكبه / كي يولد الجسد القليل !!

4 - شعراء المغرب الأقصى : مرة تصح مقولة أن أستاذ الشعر ليس شاعرا
مبدعا بالضرورة . فالبون شاسع بين " الدكتوراه " في الشعر والشعر من حيث
هو فن وموهبة .

قرأ الأستاذ "الشرقاني " مقاطع نثرية باردة لم يتذكر منها الجمهور المنصت
سوى لفظة «الكونتوار » التي أطريته . ربما أساء الشاعر الدكتور اختيار
مايناسب لإنشاده .

وما نقرأه في مجموعته «رفوف الذاكرة» يبدو أجمل :

يسرقني الريح من عينيك / يسافر بي عبر دمي / أنتصب شامخا /
كالجدار / تنبعثين بين الكفين / ما / تنبعثين نارا / آه منك يا طيفا /
مصلوبا على جسدي / مذبذبة طرقت / أبواب الدار / يسرقني الريح من
عينيك / بجع تطارده الفصول / تنيلج الشمس / من أركانها الأربعة /
يرسو وشما على القلب / حلول / يورف عنبا وزيتونا / يسرقنا الريح من
عينيك / أنحس جسدي والخلايا / تصعدين نزفا فانرا / وطننا ومرايا .

الشاعرة المغربية «لويذةبولبرس» هي أستاذة في اللسانيات والمنطق في كلية
الآداب والعلوم الإنسانية بفاس . قرأت قصيدة رثائية في الملك الراحل الحسن
الثاني وثنتها بأخرى مدحية عنوانها «تونس الخضراء» :

الحب والشعر والإبداع والرغد

لوازها اليوم في الخضراء منعقد

من كل فج أرى عشاقها وفدوا

كي يسعدوها كما في حبها سعدوا

تخير الله أهلها وروعتها

هيهات تهفو كما يهفو لها الكبد

حبيبتى تونس مذ كنت طفلتها
 ولم يزل حبّها ينمو ويضطرد
 أتيت من فاس صوت الماجدات
 إلى ملامح تونس حيث الدلّ والدكع
 هنّ الشقيقات ، هنّ الفاتنات وهل
 بغير هذي الصبايا يزدهي الغيد
 أتيت أشدو بها من وحيه نغما
 للحبّ ، منه يغار البلبل الفرد
 فحبّك الحبّ ما حبّ يماثله
 حبّي كحسنك يا خضراء منفرد

4 - بعض الشتات والهوامش :

الهوامش والمهمش والمهمشون في ثقافتنا العربية يداني أو يفوق ما يسمى
 بالمركز .

من هنا تكمن أهمية الشتات والهوامش في نظري . وأرتأينا سرد بعض
 تجاربهم والتعريف بهم باختصار . إنهم بعض من أبدع في الإبداع بأنواعه
 : قصة وبحثا وترجمة وإعلاما .

كرمهم المهرجان منارات وشهادات حبّ وتقديرا لهم .

كرم المهرجان القاصّ محمد عيسى المؤدّب بمناسبة صدور مجموعته
 القصصية الثانية « أبة امرأة تكون » وقد قدّمه صديقه الشاعر الوسيم الأنبيق
 مجدي بن عيسى .

واحتفل الملتقى بالدكتور فوزي الزمرلي مدرّس السرديات بالجامعة
 التونسية وهو باحث شبه متخصص في القصّ التونسي (الهوامش)
 والرواية العربية التي نال بها في أطروحته « مظاهر التأسيس في الرواية
 العربية » . شهادة دكتوراه الدولة في الآداب واللغة العربية . وقام بتقديمه
 الدكتور مبروك المناعي بكلّ جلاء وشعرية وحميمية .

الأستاذ أحمد الرمادي حضي بشرف التكريم بمناسبة صدور الترجمة الفرنسية لرواية «الدكاويش يعودن إلى المنفى» وهي عمل متميز لأبراهيم الدرغوثي. قبل ذلك نقل قصة "الأمير الصغير" لسانت إكسبيري إلى العربية وبعض قصائد نور الدين صمود إلى الفرنسية.

هنا قلبية ! هنا لندن !

هكذا أفتتح الإعلامي الشهير شمّا .

من هو منير شمّا ؟!

مشتق مهجر من فلسطين . ولد في مدينة عكا ونشأ ودرس في صفد . اشتغل مدة طويلة قارئاً للأخبار في القسم العربي لإذاعة لندن البريطانية . كما عمل مدة وجيزة بالإذاعة التونسية بعيد الإستقلال . وللرجل ذاكرة مع الأرض والمنفى والثقافة . ويقوم الآن وهو شيخ بترجمة بعض الكتابات القصصية العربية إلى اللغة الإنجليزية .

5 - محبة حبّ ثرية :

نرفعها عاليا لمدينة عالية وغالية هي مدينة قلبية الرائعة حيث الفكر والكفر والعبون الحور. نقول نحبك يا بلد النور يا بلادي . نحبك يا "جمعية منارة الأدب" في ظرف بلغ فيه سعر اللأعب في ناد كرويّ تونسيّ نصف مليار وتدنت فيه جائزة في النقد إلى ثلاثين ديناراً ! كيف نسكت على غياب بل تغيب الكتاب أصلاً . هل يسلك مماثل نكرم الإبداع والمبدعين ؟! نرجو للمهرجان تجاوز أخطائه التنظيمية البدائية (التنقل) وأن يفتح على المبدعين الحقيقيين في الداخل وفي الخارج خاصة وأن المشاركة المغاربية كانت باهتة وأشك في أنها تمثل فعلاً المشهد الإبداعي في كلا البلدين (الجزائر والمغرب) .

أقلام تتطلع

بقلم : محجوب الطرابلسي

« لقد أصبحنا نتطلب حياة قوية مشرقة ملؤها العزم والشباب ، ومن يتطلب الحياة فليبعد غده الذي في قلب الحياة ...
أما من يغيب أمسه وينسى غده فهو من أبناء الموت وأنضاء القبور السآخرة »
أبو القاسم الشابي

بهذه القولة الجميلة في معانيها الصريحة في صدقها التي جاءت على لسان شاعرنا الكبير أبي القاسم الشابي نفتتح أصدقاؤنا الشباب صفحاتنا الأدبية الواردة ضمن ركنكم الأدبي الجديد في عنوانه وثوبه ، القديم في رسالته بمجلتنا العريقة « الإنحاف » راجين أن تكون ملتقى طيبا لذوي الأقلام المتطلعة نحو إنشاء نصوص متميزة في جديتها شكلا ومضمونا في إطار محاولة مواكبة الكتابات الجديدة ، والراكنة ، سعيا إلى أن تكون هذه النصوص صدى لذواتنا على الأقل في إطار مكاني وزماني يحفّ بلحظة الكتابة الأدبية .

لئن كان فضل السبق والريادة إلى أستاذنا الجليل الشاعر عبد المجيد زين العابدين في تأثيث الركن الأدبي المتميز « الأقلام الواعدة » طيلة سنوات استطاع خلالها جيل من الكتاب الجدد بفضل هذا الركن أن يتقدم في عملية الكتابة الأدبية ، وقد نضجت تجارب معظم هؤلاء في السنوات الأخيرة ، فانه نظرا للعلاقة الحسنة التي تربطنا بهذه المجلة الأم « الإنحاف » وشانج الود التي تجمعنا بها وغيرتنا عليها ، آلينا على أنفسنا أن نكون أبناء باريين بها ، محاذرين أن نرد إليها ولو القليل من كثير جميلها ، وحين أقول « الإنحاف » أقول دون شك مؤسسها ومديرها وكافة أسرة هذه المجلة ومراسليها الكتاب الناهضين على تواصلها والساهرين على الرقي بها محليا ، قوميا وعالميا ، فأرجو منا لأصدقاء المبدعين

خاصة من الأعلام المتطلعة إلى آفاق جديدة في الكتابة أن يرسلونا ويساهموا بذلك في تأنيث مساحتهم الأدبية «أقلام تتطلع» التي ما جعلت إلا لهم واحة فيحاء، يستفي، بظلمها القريب والبعيد ، ونحن نعددهم بالنصيحة الأدبية والتصويب متى احتاج النص ذلك، ثم نشر النص مستقيما مهذبا ، ونحن في انتظار محاولاتكم وآرائكم إن بالرسالة أو بالهاتف ، فالركن ركنكم و«مجلة الإنحاف» مجلتكم .

* إلى الشاب معز السيارى طالب بكلية الآداب بسوسة :

أيها الصديق معز : إن نصك الشعري ينتمي في معظمه إلى الشعر المنشور ، وإن أنجذبت نحو تفعيلية المقارب (فعولن) مثل «دعيني» التي مهدت بها لكل مقطع من مقاطع نصك هذا فأنك لم تنجح في المحافظة على النسق الإيقاعي لهذا البحر ، ناهيك ما يعتري النص من عري فاضح سلكت فيه سبيل القبانى في قصيدته المشهورة «جسمك خارطتي» نقول هذا بكل حب منتظرين نصك القادم الذي تتخلص فيه من كتابه العري ومن المباشرة وأحتذاء القديم . ونقدم لك فيما يلي مقطوعتك الشعرية المنتقاة بعد تهذيبها مع تشجيعنا.

الموت أهون

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دعيني أستق من عينيك

دمعا...

لأصنع به بحرا

دعيني أستق من مشاعرك

طيفا

لأصنع به شعرا

دعيني...دعيني

ولا تصدّيني

دعيني أسر

بين لغات الصمت

وزيديني موتا

على موتي

إني الشتاء يا صغيرتي
ولكني شتا ، بلا مطر
فدعيني أمطر أرضنا شعرا
أودعي عينيك تمطرها دمعا
لا تتركي الحصوة ترحل
إلى اللأنهاية
لا تجعللي حكايتنا
ككل حكاية .

* إلى الأتسة أحلام سليمان (سوسة) :

أيها الأتسة أحلام : نصك الشعري « أرق فارق » لا يخلو منه شعرة إن على مستوى اللغة أو على مستوى الصورة ، لكن ما يمكن أن يلاحظ هو ، أنك مثل غيرك من الأصدقاء ، الكتاب قد وقعت في فخ التأثر بتفعيلة ما ألا وهي تفعيلة الهزج « مفاعيلن » ولكنك أيضا لم تنجح في المحافظة على النسق الإيقاعي لهذا البحر نظرا لغلبة الأسلوب النثري الذي توحى به على الإيقاع الوزني ، وهنا عليك أن تختاري حين تكتبين بين « شعر النثر » أو « الشعر الحر » ، الشعر المتفعل ، أو « القصيدة الموزونة » في شكلها القديم أو الحديث ، ونصك هذا ينتمي لو صنفناه إلى « شعر النثر » عوضا عن مصطلح « قصيدة النثر » ، نظرا لما بين هذين المصطلحين من تباين . نقدم لك فيما يلي نصك مستقيما مهذبًا منتظرين نصك القادم .

أرق فارق

إذا رأيت القلب عند الغروب
ينشطر ..

فأغضض الطرف عني
فإن الدمع
ينكسر

وتشرق الأحزان مني ..
لأن الله ينتظر ،

إذا متّ سفيرا
على بوكية المخاض
فما عصيت ،
لكني
أمنت بأنّ الموت في سفري
ومنذ اليد ، يناديني ،
لأنّي قد شيدت أركانني
وضمخ الملح
أزراري وأكفاني ،
فمن منكم يدثرنني
بتراب الأرض ،
فهذي الأرض تقترب
قد كان بوسعي أن أنام
في سكتي ..
أن أحتمي بالحجر ،
قد كان بوسعي
أن أنحت شكلي
بالماء والطين
فإنّ الرّوح تغترب ..
ولكنّي أشرفت
على سورة الوصول
وعمدت بالعشب
مداراتي
ومينائي ومرساتي
وقلبي في شتات الويل
مشطور



وعن ذكره مرثعل
الآن ها مرثعت أشعاري
وأطلقت نعيق الصمت
في وتري وأوزاني
وما وجدت عنواني (أ س)

* إلى الصديق سمير بيّة الشطي :

أيها الصديق سمير ، نصك هذا الذي اخترت له عنوان « أعرافات المطر على
وجه أمي » لا يخلو منه جمل شعريّة جاءت في قالب نثري ، إلا أن ما وقعت فيه
بعد عيبا كثيرا ما يقع فيه كتاب الشعر المنشور أصحاب المحاولات الأدبيّة
(شعرا) الأولى ، وهي ظاهرة التقفية والسجع وتلك من مميزات القصائد العموديّة
والمتفعّلة أحيانا مثل « صبر - مطر » أو « الغضب - تصطبّخ » وهي من الهنات
أو السقطات التي قد يقع فيها كاتب « الشعر المنشور » ننشر لك فيما يلي نصك
الشعري بعد شيء من التصويب .
أعرافات المطر في وجه أمي

الإعراف الأول :

هذه السحب في العيون
مسكونة بصبر
باشتيق الأرض للمطر
يعلن ميلاد الليالي
من رحم قصيدي
في رعشة الزمن المتآكل
يرسم صورة حبيبي
في حلمي الدفين

الإعتراف الثاني :

تخضر الروابي في الأحداق
تزرق السماء في التقاسيم
والنجمة الساكنة في عينيك
تصير فرحا لبلادي ..

عيدا للأطفال

وخميلة باسمين في خيالي
وتصير في معزوفة اللبل
أرق التلاحين .

الإعتراف الثالث :

تعلمني أبتسامة ثغرك
جمع المطر



في متاهات صمتي

أرفع صوتي

أنادي القمر

أصوغ من أنواره الفضيّة

أحرف الحرية

وأجعلها حبرا للفقراء

أجعلها ماء ، للأرض ، للشجر

وقندبلي في الليل الحزين

الإعتراف الرابع :

يزرعني المطر في اصفرار الرمل

والغيمات الداكنة

تبلكني بالعرق .

يدون في دماغي قصائد الغضب
وفي نفسي ثورة تصطبغ
ولقاء المطر في وجه أمي
يغسل عذاب الكادحين . (س ب ش)

النص المميز : شعر : الهادي جاء بالله الطائر

طائر

أسود

فاجم

ضامئ

يخلع الليل من عرشه

يخلع الضوء من رسمه

وعلى مهل

أنكأ كان ينسرب

حينما وطن السفع همت بروحي فقط !

وتركت تراب الجسد

لغرابة طير يسيل كمد

طائر

أسود

جثتي

وأنا من بعيد أراني أسيج كل المشاهد

أنفض نبضي هنا ..

أتطلع عما سيفعله الطير بنا

طائر



سوءتي
وأنا أتدلى هوى
صوب هذا الجسد
ولكنه فاجأني
فوجئ الطير أيضا معي
حينما درّ منه الزبد

حينها
لم أجد من يبادلني لغتي
كنت وحدي هنا
عندما أنهمرت سحبي
ولمحت دمي خانقا
يسرج النار في شره
مشرع للمدد



طفحت لعبي كلها
دفقة واحدة
وتهاوت على زبدي
ماؤنا عرق
بيتنا قدّ من حجر
طائر
ضامن
عاد أدراجه
لم يعد !

جانفي 98